الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية الآداب واللغات
قسم اللّغة والأدب العربي

رسائل سليمان البارونى باشا إلى إبراهيم أبى اليقظان

دراسة موضوعيّة فنيّة . عيّنات من (1926م إلى 1938م)

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات الماستر في اللّغة العربية وآدابها
تخصص: أدب حديث ومعاصر

من إعداد الطالب
رستم خير الناس

تحت إشراف الأستاذ:
محمد أحمد جهلان

السنة الجامعية: 1436هـ/1437هـ
2015م/2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
كلية الآداب واللغات
قسم اللّغة والأدب العربي

رسائل سليمان البارونى باشا إلى إبراهيم أبى اليقظان

دراسة موضوعيّة فنيّة . عيّنات من (1926م إلى 1938م)

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات الماستر في اللّغة العربية وآدابها
تخصص: أدب حديث ومعاصر

لجنة المناقشة:

الأستاذ: .....د/ الحاج امحمد يحيى.....رئيسا
الأستاذ: .....أ/ عبد المالك سمير.....مناقشا
الأستاذ: .....أ/ محمد جهلان.....مشرفا

السنة الجامعية: 1436هـ/1437هـ
2015م/2016م

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

والديَّ الكريمين اللذيه طالما حثَّاني على طلب العلم.

زوجتي العزيزة التي وقفت معي في إنجاز المُذكِّرة.

إخواني، وأخواتي وكلِّ العائلة المُحبَّة للعِلم.

كلِّ الأساتذة الذيه لهم فضلٌ في ما وصلت إليه.

كلِّ مه ساهم في إنجاز هذا العمل، وأخصُّ بالذكر:

مركزَي "دار الإمام"، و"دار العِلم للبحث والمرافقة"، اللَّذيه فتحا لي

باب التَّفرُّغ العلميِّ، ووفَّرا لي الوسائل اللاَّزمة.

إخواني وزملائي طلبة الماستر دفعة 2016م

كلِّ مه يعشق العِلم، ولغة الضَّاد

ونسأل الله التوفيق والسَّداد، فهو يهدي السَّبيل، والقادر على كلِّ شيء.

ملخّص البحث:

تناول هذا البحث رسائل سليمان الباروني باشا إلى صديقه إبراهيم أبي اليقظان، في الفترة ما بين (1926م إلى1938م)، حيث غاص في موضوعات الرّسائل فكانت عبارة عن رسائل إخوانيَّة، وسياسيَّة، وإصلاحيَّة، ثمَّ قام بتحليل نماذج من الرَّسائل الإخوانيَّة تحليلاً فنِّيًّا، إذ تميَّزت تلك الرسائل بأنَّها تتناول أخبارًا خاصَّة بسليمان الباروني باشا وجهاده وأخبار عائلته، بلغة بسيطة في الغالب، بعيدة عن الشَّاعرية، والمحسِّنات البدِيعية.

الكلمات المفتاحيّة:

(سليمان الباروني باشا – إبراهيم أبو اليقظان – رسائل)

مُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل للعلم كُتبا تحويه، وأئمة تخدمه وتعليه، وطلبة تمجّده وتُجلُّ ذويه، والصّلاة والسّلام على معلِّم البشريَّة، وسيِّد الإنسانيَّة، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد:

فإنَّ النثر العربيَّ قد تعدَّدت أغراضُه، وتنوعَّت أشكالُه، فقد تطوَّر عبر الزمن، واهتمَّت به سائرُ الأمم، وما وصلنا منه منذ العصر الجاهليِّ ليس بالشيء اليسير، صحيحٌ أنَّ العصر الجاهلي اهتمَّ بالشعر أكثر وبالخطابة، إلا أنَّه قلَّ ما كان يدوَّن فيه غير الشعر. ومع حلول فجر الإسلام انتشرت الكتابةُ بسبب الحاجة إليها، وتعدَّدت فنونُها، وتطوَّرت بعد ذلك عبر العصور. وفنُّ الترسل فنٌّ من تلك الفنون التي حُظيت بالعناية والاهتمام لتبلُغ أوُجَّها في العصر العباسي، حيث الإبداع والتنمُّق والحظوةُ لكتَّاب الرسائل لدى الخلفاء العباسيِّن.

أمَّا في العصر الحديث فقد انتشرت الرسائلُ بين الأدباء والقادة السِّياسيِّن كثيرًا، إذ حَفظت لنا المدوّنات والمجموعات وكُتب السِّيَر رسائل قيِّمة ومعتبرة وذات أهمية أدبيَّة كبيرة، مما يجعله عصرًا جديرًا بالاهتمام والدراسة، وتسليطُ الضوء على فنِّ الترسُّل في هذا العصر وكشفُه وإبرازُ قيمته التاريخية والأدبية، وإزالةُ الغُبار عن المكنونات التّراثية النّفيسة فيه، يُعدُّ أمرًا مهمًّا جدًّا.

يُعتبر مطلع القرن العشرين مُنعرجًا حرجًا بالنسبة للدُّول العربيَّة التي أُحتلَّت أغلبُها، مما جعل الأعلام والقادة يتواصلون بينهم عبر الرّسائل لنقل الأخبار، وتبادُل المعلومات، ورفع الهِمم، وهو تمامًا ما كان عليه الحال بين سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبي اليقظان، اللذان تركا لنا كثيرًا من الرسائل المتبادلة بينهما، مما جعلني أختار موضوعي الموسوم بـ"**مراسلات سليمان الباروني باشا إلى إبراهيم أبي اليقظان، دراسة موضوعيَّة فنِّية**" والذي ركَّزت فيه على التّحليل الفنِّي لرَسائل سليمان الباروني باشا إلى صديقه إبراهيم أبي اليقظان، مع دراسة موضوعات تلك المراسلات.

أهدافُ الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

- ❖ إبراز جزءٍ مهمٍّ من التراث الجزائري الأدبي العريق، في فنٍّ من الفنون التي قلَّما تلقى العناية من الدَّارسين والباحثين؛ ألا وهو فنُّ التَّرسُّل.
- ❖ إبرازُ قيمة فنِّ المراسلة ودوره في حفظ محطَّات التاريخ الإسلامي، وتسجيل مجرياته وأحداثه، واعتباره مظهرًا من مظاهر نهضة الأدب العربيِّ.
- ❖ الاطلاعُ على ملامح الجهاد الفكريِّ والسياسيِّ لأحد أبرز القادة الليبيِّين في العصر الحديث، من خلال شخصية سليمان الباروني باشا.
- ❖ الاطلاعُ على ملامح الجهاد الفكريِّ والسياسيِّ لأحد أبرز الأدباء الجزائريين في العصر الحديث، من خلال شخصية إبراهيم أبي اليقظان.
- ❖ إبرازُ قيمة الفكر الوحدويِّ بين أعلام الأمَّة العربيَّة الإسلاميَّة مشرقًا ومغربًا.
- ❖ تطبيقُ المناهج النقديَّة الحديثة في دراسة وتحليل النصوص الأدبيَّة.

هيكلُ البحث وخطَّتُه:

يحتوي هذا البحث على مقدِّمة وتمهيد وثلاثة مباحث، ثم خاتمة فملاحق وفهرس للموضوعات.

أمَّا التمهيدُ فقد تناولتُ فيه تطوُّر فنِّ الترسُّل بإيجازٍ منذ العصر الجاهلي إلى الفترة المعاصرة بعد استعراض بعض التعريفات الواردة فيه.

وخصَّصتُ المبحث الأوَّل للتعريف بالشخصيَّتين سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبي اليقظان في مطلبَين، من خلال عرضٍ شاملٍ لحياتهما، وأهمِّ مراسلاتِهما مع أعلام وقادة عصرهما، وإيراد نماذج لتلك المراسلات.

أمَّا المبحثُ الثاني فقد تعرَّضت فيه إلى أصل العلاقة بين الكاتبين؛ أوَّلاً من حيث المكان: تكوينُهما العلميُّ عند قطبِ الأئمَّة امحمَّد بن يوسف اطفيَّش الجزائري، وثانيًا من حيث الوظيفة: اشتغالهما بالصحافة، وثالثا من حيثُ الاهتمام: اهتمامُهما بالسياسة العامَّة للدول العربيَّة المحتلَّة. ثمَّ تطرَّقت إلى تاريخ المراسلات بينهما، كيف بدأت؟ والفترة الزمنية التي استمرَّت فيها، ثم المواضيع المتناولة في تلك الرسائل (سياسيَّة- إصلاحيَّة –إخوانيَّة). لأنتقل بعد ذلك إلى نقطة مهمَّة كان لها

دورٌ في التواصل بين الكاتبين، وهي الشخصياتُ التي ساهمت في التواصل بين الكاتبين، وأبرزها: إبراهيم أبي إسحاق اطفيَّش، والحاج عُمَر العُنْقْ.

وفي المبحث الثالث، قمتُ بتحليل ثلاثة نماذج من الرسائل الإخوانيَّة؛ وهي تلك التي كان فيها سليمان الباروني باشا يُعبِّر عن عواطفه وأحواله وآماله، وتحاشيتُ الرسائل السِّياسيَّة والإصلاحيَّة لأنها يغلبُ عليها الطابعُ التقريريُّ المباشر المفتقر إلى اللُّغة الشَّاعرية إلاَّ ما نَدرَ. وحاولتُ استخراج أسلوب الكاتب، وعواطِفِه، وظروفِ الكتابة، والسِّمات الفنِّيَّة الجماليَّة فيها.

وفي الخاتمة أجملتُ أهمَّ النتائج التي توصَّلتُ إليها خلال البحث، لألحق العمل بصورٍ نموذجيَّة من رسائل سليمان الباروني باشا المخطوطة إلى إبراهيم أبي اليقظان.

الإجابة عن الأسئلة والفرضيَّات:

أهدِف من خلال هذا البحث إلى الإجابة على عدَّة أسئلة فرضتها طبيعةُ الموضوعِ ومشروع الدراسة، يمكن أن أجملها فيما يلي:

كيف بدأت العلاقةُ بين القائد أو الزَّعيم الليبي سُليمان الباروني باشا، والصحفي المصلح الجزائري إبراهيم أبي اليقظان؟ وما طبيعة المراسلات التي كانت بينهُما؟ وكيف كانا يتواصلان بينهما رغم البون الشاسع للمسافة التي كانت تفصِلُهما؟ وماهي السِّمات الفنِّية في رسائل سليمان الباروني باشا إلى إبراهيم أبي اليقظان؟.

المنهج:

إنَّ المنهج الذي اعتمدتُه في هذه الدراسة هو **المنهجُ التَّاريخي** من خلال استعراض حياة الكاتبين، والمنهج **الوصفيُّ التحليليُّ**، الذي بواسطته سأتعرَّف على طبيعة المراسلات ومواضيعها، مع تحليل نماذج من الرسائل تحليلاً فنِّيا لمعرفة **أسلوب** الكاتب، والسمات الفنِّية الجماليَّة في تلك الرسائل مُتّبعًا الخطوات التّالية: أفكار الرِّسالة، ثمَّ أسلوب الكاتب، ثمَّ بناء وشكل الرِّسالة، ثمَّ سياق النَّص وظروفه، ثمَّ تسجيل الملاحظات حول الرِّسالة إن وُجدت، وذلك بالمقارنة بين الرِّسالة المخطوطة الأصلية، والرِّسالة الموجودة في كتاب «**سليمان الباروني باشا في أطوار حياته**».

دوافعُ اختيار الموضوع:

مِمَّا دفعني إلى اختيار الموضوع؛ ''فنُّ الترسُّلِ'' في حدِّ ذاته؛ فقد تعرَّفتُ عليه وعلى قيمته التاريخيَّة والجماليَّة في دروسي الجامعيَّة، وأحببتُ الغوص فيه أكثر، والكشفَ عن الشخصيَّات التاريخيَّة الكبيرة في المغرب الإسلاميِّ، وإقامة دراساتٍ عليهم بُغية التعريف بهم وبإنتاجاتهم الأدبية، خاصة زعيم ليبيا المجاهد ضدَّ الاحتلال الإيطالي سليمان الباروني باشا، لمعرفة جانبٍ من حياته الشخصيَّة، وذلك بمعرفة خصاله ومبادئه وعواطفه وأحاسيسه وأسلوبه في الكتابة من خلال تحليل رسائله، وكذا اكتشاف سرِّ صداقته المتينة مع شيْخ الصَّحافة الجزائريَّة إبراهيم أبي اليقظان، ومدى تجلِّيات تلك الصداقة ومظاهرها في الرِّسائل وفي أرض الواقع.

أهمِّيةُ الموضوع:

تكمنُ أهمية الموضوع في معرفة خصائص فن التَّرسُّل في المغرب الإسلامي، وأهمِّ الشخصيات المُسهِمَة فيه، لإثراء الساحة الأدبيَّة والنقديَّة بهذا الموروث لما لا حظتُه من قلَّة الدراسات في هذا الفنِّ، ولمعرفة الجوانب الحياتيَّة الأخرى للشخصيَّتين (سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبي اليقظان)، من خلال جهادهما في الصحافة والسياسة، حتَّى تكتمل صورتهما لدى الباحثين والقرَّاء.

الدّراسات السابقة:

مِمَّا ساعدني كثيرًا في مصادر بحثي . وأحسبُه المصدرَ الأساسيَّ لكلِّ باحث عن شخصية الباروني . كتابُ صديقه الحميم أبي اليقظان إبراهيم بن عيسى «**سليمان الباروني باشا في أطوار حياته**» وهو في جزأين طبعه أبو اليقظان في مطبعته (العربية) سنة 1376هـ/1956م، إذ وجدتُ فيه أغلبَ المراسلات التي كانت بينهما، وكان يُوردها مقتصرا على محلَّ حاجة الأمَّة فيها، ومحل الشاهد على جهاده السِّياسيِّ والصُّحفي، وتضحيات الباروني مع عائلته... فنجد في الكتاب بعض الرسائل كاملةً الكثير الآخر غير كامل. كما وصف علاقته بسليمان الباروني باشا، وتناول فيه فترة حياته من النشأة إلى الوفاة مع ذكرٍ مُختصر لحياته العائلية، وأحْسب أنَّ هذا الكتاب أقدم مصدر أخرج الرَّسائل الشَّخصيَّة بينهما في كتابٍ ليطَّلع عليها العامَّة؛ ففي هذا شجاعة وجرأة كبيرة لا تتأتي لأيٍّ كان.

أمّا المصدر الثاني المعتمد في الدراسة فكتاب «**مشايخي كما عرفتُهم**» لمحمد صالح ناصر، وقد طبعه طبعة أولى سنة 1429هـ/2008م، ثم طبعة ثانية مزيدة ومنقحة سنة 1434هـ/2013م. وتناول فيه الكاتب علاقته بمجموعة من مشايخه من بينهم: إبراهيم أبو اليقظان وأبو إسحاق إبراهيم

اطفيَّش، مع ذكر صفحات مهَّمة من جهادهما الفكريِّ، والنِّضالي ضِدَّ المحتلِّين. كما قام بتحليل مجموعة من رسائلهما مع إيراد ملاحقٍ لها. ويشرِّفني –بهذه المناسبة– أن أقف وقفة تقدير واحترام لهذا الكاتب على ما يبذله من جهد في استخراج التراث الأدبي الجزائري الأصيل – خاصة تراث إبراهيم أبي اليقظان– وغيره من أعلام الفكر والأدب في وطننا للعالم بأسلوب أدبيٍّ موثَّق، وبمنهجيّة تاريخيَّة مسترسلة، فقد تعلَّمتُ منه الطَّريقة والمنهجيَّة في تناوُل مثل هذه المواضيع، وباعتباره من أكثر الأدباء الجزائريين آثارًا في موضوع فنِّ الترسُّل.

الصعوبات:

- من الصّعوبات التي واجهتني – وواجهتُها – في هذا البحث قلَّة البحوث التي تناولت فنَّ التَّرسُّل في العصرِ الحديث، وصُعوبةُ الحصولِ على رسائل سليمان الباروني باشا كاملة في نسخها الأصلية المخطوطة، لأنَّ إبراهيم أبي اليقظان اكتفى بإيراد أجزاء منها في كتابه السالف الذكر، وتبقى عملية تجميع كلِّ الأصول المخطوطة بحاجة إلى جهد أكبر، ووقتٍ أطول لا تسمح به الفترة الزَّمنيَّة المقرَّرة لإعداد هذا البحث.
- ندرةُ نُسخ «**ديوان سليمان الباروني باشا**»، إذ لم أتمكن من الحصول عليه، واكتفيتُ بما أورده إبراهيم أبي اليقظان من قصائد هذا القائد في كتابه المذكور آنفا.
- فُقدان أجوبة إبراهيم أبي اليقظان على رسائل سليمان الباروني باشا، إذْ كان العزم في بداية مشوار البحث أن أدرُس الرَّسائل المتبادلة بينهُما، إلاَّ أنَّني فوجئتُ بفقدان رسائل أبي اليقظان إلى سليمان الباروني باشا في الجزائر، باعتبار أنَّ تلك الأصول قد تكون متفرقة عند ورثة الباروني وأفراد أسرته التي تنقلت بين دول كثيرة... ممَّا جَعلني أُغيِّر الخطَّة جُزئيًّا، وأقتصر على ما احتفظ به إبراهيم أبي اليقظان من رسائل سليمان الباروني باشا.

أختم مقدِّمتي بالشكر الجزيل للدكتور حاج امحمد يحي بن بهون الذي قدَّم إلي بذرة الموضوع، ليساعدني في زرعها ورعايتها الأستاذ المشرف محمد أحمد جهلان، الذي لم يبخل عَليَّ بالنصائح والتوجيهات، ولم يكن يتوانى في تصحيح ما أقدمه له من مسودات البحث، حتى كان يسهر معها إلى وقت متأخر من الليل رغم انشغاله، وأشكر الدكتور محمد صالح ناصر الذي فتح لي قلبه قبل باب بيته؛ فقد ساعدني بكُتبه، وبالإجابة عن كثير من الأسئلة التي وقفتُ عندها، وذلك في لقاء معه ببيته في الجزائر العاصمة، وأشكر جمعية التّراث بالقرارة (غرداية) – من خلال القائمين عليها – على ما

تبذُله من جهدٍ في خدمة التُّراث الجزائريِّ، وعلى وضعها كلِّ ما بحوزتها من رسائل سليمان الباروني باشا المخطوطة تحت تصرُّفي للانتقاء والتصوير.

وأحمدُ الله على عونه وتوفيقه، راجياً منه قبول عملي، وأن يغفر لي خطيئتي وسهوي فيه.

تمهيد

فن الترسُّل أهمِّيته وتطوُّره:

يُعتبر فنّ التّرسل من أقدم الفنون ظهورا، إذا اعتبرنا معه المراسلات الشّفهية، فنجد آدم عليه السّلام ومَن بعده مِن الرّسل الكرام، نقلوا لنا رسائل شفهيّة وكتابيّة من الله عزّ وجلّ، والمسماة بالنّصوص المقدّسة، لِتتنوّع بعد ذلك الرّسائل حسب الفكر البشري من رسائل قصيرة تمثلت في علامات توضع هنا وهناك، أو إشارات ضوئية، إلى وقتنا المعاصر ومع التّقدم الرّهيب في التكنولوجيا، فالرّسائل لا تزال حاضرة متمثلة في الرّسائل القصيرة أو الـ(**SMS**) عبر الهواتف النّقالة التي يستخدمها العالم بشكل كبير نظراً لسرعتها وسهولتها.

لكن قبل الخوض في هذا الفنّ وتطوّره، لا بدّ من تعريف للرّسالة لغة واصطلاحا:

لغة: مِن الفعل رَسَلَ، والاسم الرِّسالة والرَّسالَةُ والرّسولُ والرَّسِيلُ، والرّسول بمعنى الرِّسالة يؤنّث ويذكّر، فمِن أنّث جمعه أرْسُلا، يقال: هي رسولك. وتراسل القوم أي أرْسل بعضهم إلى بعض[1].

اصطلاحا: قطعة من النّثر الفنّي تطول أو تقصر تبعاً لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى لذلك سبباً، وقد يكون هذا الشِّعر من نظمه، أو مما يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق، وألفاظ منتقاة، ومعانٍ طريفة، كما يتخلل رسائل هذا العصر آيات من القرآن، أو أحاديث نبوية شريفة، أو أمثال[2].

غلُب على العرب في الجاهلية فن الترسّل الشّفهي، إلاّ ماقلّ وندر من الكتابي، إلاّ أنّ بعض الدّارسين أنكروا وُجود هذا الفنّ تمامًا في العصر الجاهلي، كشوقي ضيف حين نفى التدوين فقال:

1- انظر: ابن منظور، لسان العرب –باب الرّاء–، المحققون: عبد الله الكبير وهاشم الشاذلي ومحم حسب الله وسيد رمضان أحمد، دار المعارف–القاهرة، مج3، ص1644.

2- فن الرّسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، رشا فخري النحال، مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير في الأدب والنقد، الجامعة الإسلامية–غزة،2014م، ص02.

«ومن الأدلّة على ذلك أننا لا نجد راويًا ثِقة يزعُم أنّ شاعراً في الجاهليّة ألقى قصيدته من صحِيفة مدوّنة، إنما كانوا ينشدون شعرهم إنشادا» [1]، وقال أيضا: «إذا كنّا نفتقد الأدلة الماديّة على وجود رسائل أدبية في العصر الجاهلي، فمن المحقق أنه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان» [2]، فاعتراف بوجود الخطابة إشارة قويّة لوجود الرّسائل، لأنّ هناك من يرى باقتران الخطابة بالترّسّل بسبب التّشابه الكبير بينهما، وهذا ما ذهب إليه قُدامة بن جعفر (ت337هـ) : « فالخُطب تستعمل لإصلاح ذات البين، وإطفاء نار الحرب، وحمالة الدّماء، والتّسديد للملك، والتّأكيد للعهد في عقد الأملاك، (...)والترّسّل في أنواع من هذا، وفي الاحتجاج على المخالفين من أهل الأطراف... » [3] .

كما أنّنا نجد في بعض الكتب المتخصّصة في الأدب الجاهلي، أنّ من أشهر الرّسائل النّثرية وأقدمها رسالة المنْذِر الأكبر إلى أنو شروان ملك الفرس في صفة جارية أهداها إليه، وفي هذه الرّسالة وصف المنذر قامة الجارية، ولونها، وعينيها، وتحدّث عن أصلها ونسبها، وهي رسالة طويلة، نختار منها: «إنّي قد وجّهت إلى الملك جارية معتدلة الخلق، نقيّة اللّون والثغر، بيضاء قمراء، وطْفاء[4] كحْلاء، دَعْجَاء، حوْراء عَيناء[5] قنْواء[6] شمّاء[7] بَرجاء[8] زَجّاء[9](...)عزيزة النّفس، لم تُغذ في بؤس، حييّة حَصينة رَزينة، حلِيمة رَكينة[10]، كريمة الخال، تقتصر على نسَب أبيها دُون فصيلتها، تستغني بفصيلتها دُون جماع قبيلتها... » [11]، هي إذا رسالة نثرية وُصفت فيها جارية وصفا دقيقا.

وبعض هذه الرّسائل يشبه الوصّية المكتوبة، ينطوي على حِكم وأمثال ونصائح يهتدي بها النّاس. رَوى أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال رسالة من هذا النمط، وهي رسالة أكثم بن صيفي

1- تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي–، شوقي ضيف، ج1، ط11، دار المعارف القاهرة، 1976م، ص158.

2- نفسه، ص399.

3- نقد النّثر، قدامة بن جعفر، تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية–القاهرة، 1941م، ص105.

4- كثيرة شعر الحاجبين والعينين مع استرخاء وطول.

5- عظيمة سواد العين في سعة.

6- مرتفعة الأنف محدودبة الوسط.

7- مرتفعة الأنف مع استواء أعلاه وانتصاب أرنبتة.

8- واسعة العين.

9- دقيقة الحاجبين في طول.

10- رزينة.

11- الأدب الجاهلي، غازي طليمات وعرفان الأشقر، ط1، دمشق، 1992م، ص573.

التّميمي إلى النّعمان بن خميصة البارقي وقد استنصحه، فنصح له قائلا: « قد حلبت الدّهر أشطره، فعرفت حُلوه ومُرّه. كل زمان لمن فيه في كل يوم ما يكره. كل ذي نصرة سيُخذل(...) إنّ قول الحقّ لم يدع لي صديقا»، ولو لم يكن هذا الكلام مكتوبا في رقعة حملها رسول إلى من أرسلت إليه لألحقته بالحكم والأمثال[1]، ورَوت كُتب الأدب أنّ الحارث بن عباد البكري أرسل إلى المهلهل من يقول له –وكان القتل قد استحرّ في بكر– : « أبو بجير يُقرئك السّلام ويقول لك: قد علمت أنّي اعتزلت قومي، لأنهم ظلمُوك، وخلّيتك وإيّاهم وقد أدركتَ وتَرك، فأُنشدك الله في قومِك» [2] .

يظهر لنا من خلال ما سبق أنّ العرب في العصر الجاهلي راسلوا بعضهم، إلاّ أنّها كانت رسائل قصيرة، وشفهيّة في أغلبها، ولم يظهر عندهم رسائل الإخوانيات التي عُرفت فيما بعد، كما أنّ معرفتهم بالكتابة دليل على وجود الرّسائل، وإن لم يوجد من يدوّنها ويجمعها في صحائف في ذلك الوقت، يقول شوقي ضيف: « فالكتابة كانت معروفة بل كانت شائعة في الجاهليّة، ورُويت أخبار متفرّقة تدلّ على أن بعض الشعراء استخدمها بلاغا شعريّا لقومه في ما حزّ به من الامر»[3]، أمّا عند عند ظهور الإسلام فقد بدأ هذا الفنّ في الازدهار، وظهرت الرّسائل السّياسيّة عند مراسلة الرّسول صلّى الله عليه وسلم لملوك الفرس والرّوم والحبشة يدعوهم للإسلام، وبعد انتشار الإسلام وتوسّعه في عهد الخلفاء الرّاشدين ثم الأمويّين، كثُر استعمال هذا الفنّ حين كان الخلفاء والأمراء يتبادلون المراسلات مع وُلاتهم وقوّاد جيوشهم هنا هناك بجملة من الأوامر والنّصائح والأخبار.

اعتنت الدّولة العباسيّة بكتّاب الرّسائل الدّيوانيّة عناية كبيرة، حيث أصبحوا بمكانة الوزير من الخليفة، خُصصت لهم أزياء خاصة، وأجرة مُحترمة جدّا، نظرا لتفنّنهم في الكتابة واختيارهم لأحسن الألفاظ، فتطوّر هذا الفن وعُني به عناية كبيرة، وتفرّعت منه أنواع من الرسائل : كرسائل الإخوانيات، والرسائل السّياسية، وغيرها.

بقي الأمر على هذا الحال حيث كانت الرّسائل تنقل عبر الرُّسل أو الحمام الزّاجل، إلى وقتنا الحديث أين كانت تنقل عبر المواصلات من قطارات وشاحنات وغيرها، فازدهر هذا الفن بشكل كبير جدّا، وكثرة المراسلات بين الأدباء؛ كالرسائل التي كانت بين العقاد ومي زيادة، وبين غسّان كنفاني وغادة السّمان، وبين محمود درويش وسميح القاسم، وغيرهم من أعلام ذلك العصر، لكن

1- السّابق، ص574.

2- نفسه، ص574.

3- تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي–، ص139.

ومع تطوّر الفكر البشري وظهور التكنولوجيا، تناقصت هذه الرّسائل الأدبية الإخوانية بشكل شبه كبير، لأنّ الغرض من الرسائل كان الإخبار أو الاتصال والسؤال عن شخص بعيد يصعب الوصول إليه، فأصبح الهاتف النّقال والبريد الإلكتروني أزالا هذا الإشكال، وأصبح من اليُسر الاتصال بشخص يعيش في أقصى الأرض، وأصبح الناس يسألون عن أحوال بعضهم بعضا ويتبادلون الأخبار بينهم بالاتصال المباشر، فما حاجة كتابة رسالة في ظلّ هذا الوضع؟!.

ظهر في الآونة الأخيرة كتاب بعنوان "غيوم تشرينيّة" وهو عبارة عن كتاب يحمل مراسلات بين طالبتين، يحكيان همومهما، وكانت الرّسائل عبر البريد الإلكتروني، جُمعت وطبعت في كتاب، مما يعني أنّه ورغم التطوّر الكبير في العالم وسهولة الاتصال، هناك من يستعمل فن الترّسل ويستعمل الوسائل المتطوّرة في ذلك.

المبحث الأوّل:
سليمان الباروني باشا و أبو اليقظان
(حياتهما ومراسلاتهما مع أعلام عصرهما)

المطلب الأول: سليمان الباروني باشا (حياته ومراسلاته مع أعلام عصره).

1) حياته:

هو سليمان بن عبد الله بن يحي الباروني باشا، نسبة إلى القبيلة البارونية بليبيا، وُلد بمدينة جادُو في جبل نَفُوسة بليبيا عام 1287هـ / 1870م، كان والده أحد مشايخ المنطقة، لذلك فقد أخذ عنه وعلى يد مشايخ آخرين مبادئ العلوم الأولى، إلا أن شغفه وحبه للعلم جعله يُسافر إلى جامع الزيتونة بتونس عام 1305هـ/ 1887م للاستزادة والنّهل من خيرات علومها، ثم إلى جامع الأزهر بمصر عام 1310هـ/ 1892م للارتواء من نهر معارفه مدّة ثلاث سنوات، ليسوقه حنين الأهل والأحباب إلى موطنه، ليرسله أبوه مرّة أخرى إلى معهد قطب الأئمة امحمّد بن يوسف اطفيش ببني يسجن، إحدى قرى وادي مزاب بالجزائر سنة 1313هـ/1895، ليتخصّص في العلوم الشّرعية، أيْن مكث فيه عامين مُتعلما ومُرافقا لشيخه؛ الذي اتخذ له دروسا خاصّة في أبواب كبرى من عدّة فنون، كما أخذ عنه الهمّة في طلب العلم، والغيرة والدفاع عن الوطن والإسلام واللغة العربية، ثم قفل راجعا إلى طَرابلس الغرب، كما تَعرّف بزميليه في الدراسة أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، وإبراهيم أبو اليقظان، اللذين دامت صداقتهما به حتى بعد تخرّجه من معهد القطب، ولم تكن صداقة عاديّة، بل كانت صداقة حميمية إخوانية، أثمرت عملاً جهاديّا في سبيل نصرة الإسلام، و تُراثا أدبيّا كبيرا، تمثل في الصحف والمجلات والرّسائل.[1]

في عام 1902م وبعد الرّحلات العلمية التي قام بها انتقل إلى يفرن بليبيا، ليبدأ جهاده العلمي الإصلاحي والسياسي بتأسيسه للمدرسة البارونية عام 1904، ثم المكتبة البارونية، لكن مضايقات الاحتلال الإيطالي جعلته يلجأ إلى مصر، التي كانت الأرض الخصبة للجهاد، فقدّم أعمالا جليلة في مجال الطبع والنشر والتأليف، حيث أنشأ المطبعة البارونية عام 1906م، وطبع فيها تُراثا إسلاميا في شتى الفنون، كما كان يطبع أيضا جريدته "الأسد الإسلامي" التي أنشأها في نفس السنة لكن نالها ما

1- انظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، ط1، 1999م، نشر جمعية التراث، غرداية-الجزائر، مج3، ص426/427.

ينال الجرائد الوطنية الحرة من التضييق والتعطيل، فلم يصدر منها إلا ثلاثة أعداد فقط، كما أن مكوثه بمصر جعله يلتقي بشخصيات كبيرة ومختلفة في مجال السّياسة والإصلاح، وربط معهم علاقات وديّة أخويّة عمِيقة[1].

إنّ كفاح الباروني ضدّ الاحتلال الإيطالي ودفاعه عن القضيّة اللّيبية في المحافل الدولية، جعلت منه عنصرا خطير لدى الحكومة الإيطالية، إذ أجبرته على مغادرة أرض الوطن، كما أغلقت في وجهه أبواب تونس والجزائر ومصر والشام من قِبل الحكومة الإنجليزية والفرنسية، ليضطر إلى دخول تونس خِفية، لكن سرعان ما اكتشف أمره وفُرضت عليه الرقابة ومُنع من المغادرة، ونُفيَ إلى فرنسا، إلى أن انفرجت الأزمة وسُمح له بالسّفر إلى الحجّ عام 1924م، ثمّ انتقل إلى عمان بمساعي الملك حسين ملك الحجاز لدى الإنجليز، أين تلقى ترحابا عظيما، ورعاية تليق بمقامه، فساهم في تنظيم شؤون الحكم في إمامة عمان التي كان على رأسها محمد بن عبد الله الخليلي[2]، وقام بأعمال عظيمة فيها، إلى أن أصيب بحمى الملاريا، فقصد العراق للعلاج، ثم بومباي في الهند سنة 1940م، لكن القدر شاء أن يكون ذلك مرض الوفاة، فاستجاب لربه في نفس السنة، تاركا وراءه فراغا كبيرا، وعملا جليلا، وتراثا عظيما[3].

2) مراسلاته مع أعلام عصره:

لسليمان الباروني باشا بوصفه زعيم ليبيا وناطقها الرّسمي، وبوصفه وزير في مملكة عمان، مراسلات عديدة مع قادة عصره والزعماء والأعلام، فقد كان يراسل القادة الإنجليز كـ "آرثر هندرسون"[4] (1863-1935م) والإيطاليين كـ "موسيليني"[5] (1883-1945م)، كما كان

1- انظر: سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المطبعة العربية-الجزائر، 1376هـ/1956م، ج1، 84/83.

2ـ انظر نفسه: ص199و205و209.

3- انظر: سليمان باشا الباروني وحضوره في الثقافة العمانية مج1، جامعة السلطان قابوس 2013م، ص51/49.

4- وزير الخارجية البريطانية من 1929 إلى 1931م، من المدافعين عن نزع الأسلحة، تحصّل على جائزة نوبل للسّلام سنة 1934م.

5- حاكم إيطاليا بين 1922 و1943، من مؤسّسي الحركة الفاشية الإيطالية وزعمائها، والمعترض على دخول سليمان الباروني باشا إلى دخول طرابلس وتونس ومصر.

يراسل الزعماء الإسلاميين، "كالسّلطان تيمور"[1]، وملك العراق "فيصل الأوّل بن حسين"(1883-1933م)، ثمّ ابنه الأكبر من بعده الملك "غازي بن فيصل الأول" (1912-1939م) والشّيخ "عبد العزيز الثعالبي"[2] (1876-1944م) ومن الأعلام نذكر الشيخ "أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش"[3]، و"شكيب أرسلان"[4] (1869-1946م)، ومن مشايخ وادي مزاب "الشيخ الحاج عمر العُنق"[5]، والأسماء السّالفة الذكر ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر، وكان يراسل إمّا عن طريق رسائل ينقلها أشخاص مثلما سنورد نموذجا لها، وإما عن طريق الصّحافة، كقوله في رسالة إلى الحاج عمر العنق والمؤرّخة بـ 28 رمضان 1345هـ: «وقد كتبت إليك غير هذا بواسطة ((وادي ميزاب)) الأغر، أرجو أنه وصلك»[6].

وقد اخترنا ثلاثة نماذج مختلفة من مراسلاته مع قادة زمانه وأعلام عصره:

❖ رسالة من رئيس مؤتمر نزع السّلاح لعصبة الأمم بجنيف المستر هندرسون، وزير خارجية انجلترا مجيبا عن تقرير قدّمه الباروني باشا:

«مستر باروني المحترم- عضو مجلس الأعيان العثماني السّابق.

اشكركم على تقريركم المهم حول عدم التّسلّح.

بالنظر إلى عودة ألمانيا إلى المؤتمر وإلى المواد التي حصلنا عليها بنتيجة أعمال ومفاوضات السنة الماضية، اؤمل كثيرا بأن المؤتمر سيتخذ في برهة الثلاثة الأشهر القرارات الحاسمة التي يرتكز عليها النجاح النهائي... »[7] .

1- السلطان تيمور بن فيصل، سلطان عمان ومسقط من 1913 إلى 1932م ليتنازل عن الحكم لولده سعيد لأسباب صحيَّة، توفي سنة 1965م.

2- زعيم تونسي وسياسي ديني، له عدّة مؤلفات كتاريخ شمال إفريقيا، وفلسفة التشريع الإسلامي وغيرها.

3- من علماء الجزائر، نفته الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى تونس ثم مصر وأسَّس فيها مجلة المنهاج، (توفي في 26 ديسمبر 1965م).

4- كاتب وأديب ومفكر لبناني، لُقِّب بأمير البيان، من مؤلّفاته: السيد رشيد رضا، أو إخاء أربعين سنة، شوقي.

5- من أعلام التربية والإصلاح بالجنوب الجزائري، وكان السند الكبير للشيخ بيوض في حركته الإصلاحية، (توفي سنة 1956م).

6- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2، ص45.

7- نفسه، ص137.

❖ وهذا نصّ من رسالة أرسلها إلى إبراهيم أبي اليقظان، يذكر فيها مراسلاته مع السّلطان العماني تيمور بن فيصل، يقول فيها: «ورد إليّ كتاب من عظمة السلطان السيّد ((تيمور)) من ولاية ظفار، وهو صارف همّته في تعميرها، وقد ساح بنفسه في جبالها وأوديتها.... »[1] .

❖ ورسالة منه إلى الشيخ الحاج عمر العنق المؤرّخة بـ 28رمضان 1345 يقول فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الأجل المحترم الأخ الوفي الحاج عمر العنق زيد قدره. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إني في صحّة تامة ولله الفضل. وقد عدت من سياحة أجريت فيها بعض مصالح، واليوم بمركز وادي بني رواحة... »[2].

لسليمان الباروني رسائل عديدة واسعة الامتداد بحكم المناصب التي تقلّدها، والنماذج التي أوردناه سابقا دليل على ذلك، وما كثرة تلك الرّسائل سوى دليل على حسّه العالي بالمسؤولية التي ألقيت على عاتقه، فلا يهنأ له بال حتى يحقّق النّصر أو يرجع الكرامة لشعبه، فاجتهد في ذلك ولم يثنه لا المضايقات التي تعرّض لها ولا الحالة المادية الصّعبة والصحّية التي عاشها، وكانت مراسلاته ذات طابع إخواني، وبعضها ذات طابع إصلاحي، وبعضها الآخر ذات طابع سياسي.

المطلب الثاني: أبو اليقظان (حياته مراسلاته مع أعلام عصره).

1) حياته:

هو حمدي أبو اليقظان إبراهيم بن عيسى، ولد في 29صفر 1306هـ الذي وافق أوائل نوفمبر 1888م بالقرارة، ولاية غرداية، جنوب الجزائر، عاش يتيم الأب تحت كفالة عمّه الذي أرسله إلى الكتّاب بالقرارة للتّعلم على يد مشايخ أجلاء، فاستظهر عندهم القرآن الكريم، ثم انتقل سنة 1907م إلى مدينة بني يسجن في نفس الولاية للتعلم على يد قطب الأئمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، أحسّ بعد ذلك برغبة في مزيد من العلم، فالتحق بالزيتونة بتونس سنة 1912م،ثمّ قام برئاسة أوّل بعثة علمية جزائرية إلى تونس مرّتين آخرها من 1917م إلى 1925م[3]، احتكّ خلالها بشخصيات سياسية وإصلاحية عديدة، كما كانت له صداقة حميمية، وتعاون وثيق بالزعيم عبد

1- السّابق، ص14.

2- نفسه، ص45.

3- انظر: معجم أعلام الإباضية، جمعية التراث، مج2، ص53/52.

العزيز الثعالبي مؤسس الحزب الدستوري التونسي وقد أصبح أبو اليقظان عضوا فيه سنة 1920م، فكان عضوا فعّالا في الحياة الثقافية والسياسية هناك، هذه الفعالية كوّنت فيه شخصية قوية وهمّة عالية في سبيل الدفاع عن الشعوب العربية وعن الإسلام، ليعود إلى الجزائر وهو مشبّع بتلك الروح المعنوية العالية وعزيمة من أجل محاربة المحتل، ليبدأ جهاده الصحفي بإنشاء أولى صحفه "وادي ميزاب" التي أنشها سنة 1926م، التي كانت تحرّر بالجزائر، وتطبع بتونس، وتوزّع إلى العالم الإسلامي، إلى أن تمكن سنة 1931م من تأسيس أول مطبعة عربية مهمّة بالجزائر، حيث قدّمت خدمة كبيرة للحركة الوطنية وللثقافة ما بين (1962/1931م)، كما أن مضايقة الاحتلال الفرنسي الذي كان يُغلق صُحفه الواحدة تلوى الأخرى جعلته يصدر ثماني جرائد ما بين (1938/1926م) وهي : وادي ميزاب- مزاب- المغرب- النور- البستان- النّبراس- الأمّة- الفرقان.

في حياته الإصلاحية شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، وانتخب عضوا في مجلسها الإداري سنة 1934م، فكان نائب أمين المال فيها، كما عيّن عضوا في حلقة العزّابة (الهيئة الدّينية العليا بالقرارة) في الثلاثينيات من القرن الماضي، فكان ينوب الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض (1899-1981م)[1] في دروس الوعظ بالمسجد الكبير.

نشر مقالات وبحوثا في جرائد ومجلات عربية كثيرة كالفاروق والإقدام بالجزائر، والمنير والإرادة بتونس، والمنهاج بالقاهرة، ليتفرّغ بعد 1938م للتأليف، واستقرّ بالقرارة مسقط رأسه، إلى أن أصيب بالشلل النصفي سنة 1957م، بعد تعرّض ابنه عيسى -الذي كان يسيّر مطبعته بالجزائر- للسجن والتعذيب، لكنّ المرض لم يثنه عن الجهاد بالقلم، فكان التأليف هدفه وهمّه، فترك لنا حوالي ستّين مؤلفا في شتى مجالات العلوم الإنسانية، كالشعر والتاريخ والفقه والتحقيق.

انتقل إلى رحمة الله يوم الجمعة 25 صفر 1393هـ/ 30 مارس 1973م بالقرارة ودفن بها[2].

2) مراسلاته مع أعلام عصره:

لإبراهيم أبي اليقظان مراسلات عديدة مع أعلام عصره، بحكم مهنته في الصحافة، ونضاله ضدّ الاحتلال الفرنسي، ونشاطاته الإصلاحيّة، فقد كان يراسل عبر صحافته العديد من

1- رائد الحركة الإصلاحية بجنوب الجزائر، ومن مؤسسي جمعية العلماء المسلين.

2- انظر: مشايخي كما عرفتهم ، محمد صالح الناصر، ط2، دار ناصر للنشر والتوزيع الجزائر، 2013م،ص59-61.

الشّخصيات منها: رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين العلامة عبد الحميد بن باديس[1]، والطيّب العقبي[2]، والشيخ بيوض، وأبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ومحمد الصالح الصّديق بَسّيسْ[3] محرّر جريدة المغرب العربي، والحاج عمر العُنْق، والشّيخ سعيد بن بالحاج شريفي عدّون[4]، وغيرهم من الأعلام والشّخصيات الإصلاحيّة في ذلك الوقت.

لقد اخترت بعض النّماذج، مما كان يتبادله مع الشّيخ عبد الحميد بن باديس عبر صُحفهما، فقد قال فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقال نشره في مجلة الشهاب يوم: 1927/09/29 العدد 115: «بحقّ يعدّ ركنا من أركان نهضتنا الفكرية والإصلاحية وزعيم الناهضين من إخواننا الميزابيين، وهو في سبيله هذا يتلقى الأذى القولي والفعلي من خصوم عديدين متنوعين، وتلك شكاة ظاهر عن عارها... ونكتفي بها عن نشر المقالات العديدة التي جاءتنا في الذّبّ عن أبي اليقظان في موقفه مع بعض الناس كما يعلمه قراء صحيفته، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق»[5].

وبادله أبو اليقظان الاعتبار والتقدير نفسه حين قال: «إننا نعدّ الشهاب عضدا متينا لنا وسندا قويا في تحطيم المفاسد والشرور، وهدم الخرافات والبدع»[6].

ومن أعلام عصره أيضا صديقه، الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش صاحب مجلة المِنْهاج في مصر الذي قال في إحدى مقالاته التي نشرها في محرم وصفر 1345 ج1و2: «تعزّز جانب الصحافة ((بوادي ميزاب)) وهي جريدة أسبوعية يصدرها حضرة العالم الجليل والشاعر الفحل أحد أركان النهضة العلمية بوادي ميزاب، وطننا العامر، وهومن ذوي الإخلاص والورع»[7].

وكثيرا ما كان تبادل الرّسائل أيضا مع الشّيخ سعيد بن بالحاج شريفي عدّون، الذي يُعتبر من رواد الحركة الإصلاحية بالجنوب الجزائري رفقة الشيخ بيّوض، وهذا نموذج من رسالة بعثها الشّيخ عدون إلى إبراهيم أبي اليقظان مؤرخة بـ: القرارة 15 صفر 1352هـ =أوت 1933م

---

1 - مؤسّس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، توفي في 16 أفريل 1940م.

2- من الأعضاء المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين، توفي في 21 ماي 1960م.

3- من مواليد تونس العاصمة، كانت له مساهمات معتبرة في النضال الوطني والثقافي، توفي بتونس يوم 19 أكتوبر 1978م.

4- من روّاد النهضة العلمية الإصلاحية بالجنوب، توفي بالقرارة –الجزائر– يوم 2004/11/03م.

5- أبو اليقظان في الدوريات العربية، محمد ناصر بوحجام، المطبعة العربية–غرداية 1985، ص13.

6- أبو اليقظان وجهاد الكلمة، محمد ناصر، أحمد زبانة–الجزائر 1980، ص40.

7- أبو اليقظان في الدوريات العربية، ص14.

يقول فيها: «...سيدي استلمت مكتوبك الكريم، فإذا هو نفثة مصدور، فرأيت فيه موقفك أزاء الأمة وموقف الأمة أزاءك، وإن كنت لأجهل من قبل، رأيت ما تعانيه من أتعاب تشقّ المرائر...»[1].

نُسجّل هنا رسالة نادرة من إبراهيم أبي اليقظان إلى سليمان الباروني باشا يهنئه فيها على تعيينه عضوا في مجلس الأعيان العثماني، مؤرخة بـ جمادى الثانية 1332هـ -ماي 1914م يقول فيها بعد الدّيباجة: «...أزفّ لمقامكم السّامي عبارات التهاني تغتبطها الخرائد الغواني، لائقة بعلو ارتقائكم على تلك المنصة المنيفة وانخراطكم في سلك تلك الدائرة الشّريفة... »[2] .

وغيرهم من أعلام عصره، الذين كان يتبادل معهم الرّسائل، فتارة يقدمون له التهاني عند إنشائه للجريدة، وتارة يواسونه على إغلاقها من طرف الاحتلال، وأحيانا يُعلّقون على مقالاته، وأحيانا أخرى يرْسلون له مقالاتهم في رسالة لنشرها في جرائده، وقد تكون رسائل خاصة يفضي فيها همومه مع بعض إخوانه.

1 - من رسائل الشيخ عدون إلى أبي اليقظان، محمد ناصر، الجزائر في 26 رجب 1426هـ، ص142.

2- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1، ص88.

المبحث الثاني:
مراسلات سليمان الباروني باشا مع إبراهيم أبي اليقظان
دراسة موضوعية

المطلب الأول: أصل العلاقة بين الكاتبين ومقوماتها.

1) طور التكوين (الدراسة على يد القطب اطفيش)

كثيراً ما جمع الجوّ العلمي أصدقاء لم تربط بينهم لا رابطة القرابة ولا الحيّز الجغرافي الضيّق، بل رابطة العلم والمعرفة، هذا ما كان من صداقة سليمان الباروني اللّيبي وإبراهيم أبي اليقظان الجزائري، فقد كان أوّل مكان جمعهما هو مدرسة الشيخ اطفيش في بني يسجن بوادي ميزاب، عندما كانا طالبين يريدان الارتواء مِن منبع العِلم الذي احتواه شيخهم، فمكثا مدّة من الزمن يتعلمان العلم والآداب والأخلاق، كما التقيا بأبي إسحاق اطفيش، ولِيد تلك المنطقة، فهؤلاء الثّلاثة أخذوا الكثير من العلوم والأخلاق من شيخهم، هذا ما أثبته بعض المصادر كمعجم أعلام الإباضية الذي نجد فيه عن ترجمة سليمان الباروني باشا ما يلي: « فعاد إلى موطنه فأرسله أبوه سنة 1313هـ/1895م إلى ميزاب بالجزائر ليتخصَّص في العلوم الشَّرعِيَّة في معهد قطب الأيمة الشيخ اطفيش ببلدة يسجن، فاتَّخذ له دروسا خاصَّة في أبواب كبرى من عدَّة فنون، والتقى هناك بالعالِميْن البارزيْن اللذيْن كان لهما بعد ذلك صيتٌ ذائعٌ على المسْتوى العالمي، وهما الشيخان: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش نزيلُ مصر، والشيخ أبو اليقظان إبراهيم رائد الصحافة الجزائرية»[1]، مكث سليمان الباروني باشا في معهد القطب نحو ثلاث سنوات، فغادره سنة 1898م، يقول إبراهيم أبو اليقظان: «ثم إنه بعد التداوي بِقُبرص اِرتحل في نفس السنة _1313هـ أي (1895م) إلى وادي ميزاب لاسْتكمال علومه من البحر الزاخر قطب الأئمة الشيخ اطفيش في بني يسجن، فمكث عنده نحو ثلاث سنين»[2].

1 - معجم أعلام الإباضية، مج3، ص427.

2 - سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1،ص 49.

لم يذكر إبراهيم أبو اليقظان هُنا التقاءه بسليمان الباروني باشا في معهد القُطب، بينما ذكر في مكان آخر: «في أواخر سنة -1335[1]-1907م،نزلنا نحن وإياه ضيوفًا عند قطب الأئمة الشّيخ اطفيش، هو للزيارة ونحن لطلب العلِم، فكنّا معًا في سائِر الاجتماعات، والضّيافات، ومجالس العِلم والأدَب، حيث كانت في قرى ميزاب مدّة نحو شهرٍ، فكان لنا من الأُنس شيء كبير»[2].

أستنتج ممّا ذُكر سابقا أنّ سليمان الباروني باشا في فترة تعلّمِه لدى القطب لم يلتقِ بإبراهيم أبي اليقظان بسبب:

- ❖ أنّ سليمان الباروني باشا اِنتقل إلى بني يسجن سنة 1895م، أمّا أبو اليقظان فقد اِنتقل إلى معهد القطب سنة 1907م، أي بعد 12 سنة من انتقال سليمان الباروني باشا إليه، وهي فترة كبيرة جدّا، فسليمان الباروني باشا لم يمكُث في المعهد سوى ثلاث سنوات.
- ❖ أنّ سليمان الباروني باشا بدأ مرحلة العطاء والجهاد عند تأسِيسه لجريدته "الأسَد الإسلامي" سنة 1906م في مصر، بينما لم ينتقلْ إبراهيم أبو اليقظان إلى المعهد إلاّ بعد سنة مِن ذلك، أي في 1907م.
- ❖ اِلتقى سليمان الباروني باشا مع إبراهيم أبو اليقظان في معهد القُطب إثر زيارة له إلى شيخه، حيث مكث فيها نحو شهرٍ كامل، رافقه فيها إبراهيم أبو اليقظان، أي ليس في مجال التعلّم، وهذا ما يؤكده تعليق إبراهيم أبو اليقظان في رسالة له من سليمان الباروني باشا مؤرخة بـ: 1 شوال 1346هـ تحدّث له فيها عن أمور شتّى منها حواره مع أستاذه القُطب اطفيش عن مسألة كُرويّة الأرض، فذيّل إبراهيم أبو اليقظان هذا في الهامش قائلا: «وقد حضرت مجْلسهم هذا ومُحاورتهم في أيّامي الأولى من حضوري تلميذا لدى الشّيخ اطفيش في شوال 1325هـ[3]»[4] أي (1907) ، ويقول أيضا: «ومن ذلك زيارته لهذا الأستاذ الجليل (يقصد امحمد بن يوسف اطفيش) في حياته سنة 1907م

1- أظن أنَّ هناك خطأ مطبعيًّا، ولعلَّ الصواب هو 1325هـ، لأنَّ سنة 1335هـ يقابلها بالميلادي 1917م، وفي هذا الوقت لم يكن أبو اليقظان طالبًا، كما أنَّ القطب قد توفي سنة 1914م، ونرجِّح أن يكون تصحيفاً مطبعيًّا.

2- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1،ص57.

3- هذا يؤكد أنَّ التاريخ الهجري في الصفحة السابقة غير صحيح، فليتأمل.

4- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته،ج2،ص209.

وبعد مماته في سنة 1914م رغم بُعد المسافة ورغم شواغله الكبيرة قبل الحرب وبعهدها»[1]، أي أن الأيام الأولى لإبراهيم أبي اليقظان في معهد القطب كانت عند زيارة سليمان الباروني باشا لشيخه القطب، ومنذ ذلك اللّقاء بدأت المراسلات بينها، يقول إبراهيم أبو اليقظان:«...لما توثق بيني وبينه من حبل المواصلة، وامتدت من أسباب المراسلة من لدن 1325هـ إلى سنة 1357هـ (أي 1907إلى 1938م) فكان لديّ بذلك شيء كثير من وثائقه الثمينة التي تحف حياته الحافلة إلى حد بعيد»[2].

وعليه اِلتقى سليمان الباروني باشا بإبراهيم أبو اليقظان أوّل مرة عند زيارة شيخه القطب محمد بن يوسف اطفيش وليس في فترة التعلُّم عنده، إلا أنّنا يمكن أن نتفق بأنّهما التقيا بأبي إسحاق إبراهيم اطفيش، الذي كان وليد تلك المنطقة.

تأثّر أولئك الثلاثة بشيخهم محمد بن يوسف اطفيش كثيرا، والدّليل على ذلك ما تركوه من تُراث أدبيّ خالد، وما بذلوه من جُهد في سبيل تطهير الأرض من دنسِ الاحتلال الأجنبي، تماما ما فعله معلّمهم.

2) طور الحركية والعطاء (العمل السياسي، العمل الصحفي)

لقد كان للعمل السّياسي والصّحفي دور كبير في التقريب بين سليمان الباروني باشا، وإبراهيم أبو اليقظان، فوجود همّ مشترك وهدف واحد جعلهما يعملان معًا ويتبادلان الأفكار والنصائح، فالأوّل دخل معترك السّياسة في الثلاثينيات من عمره بتأسيسه للمدرسة البارونيّة، أمّا الثّاني ففي العشرينيات من عمره عندما أصبح عضوا في الحزب الدّستوري التونسي، أمّا العمل الصّحفي الذي يخدم العديد من الجوانب، كالجانب السّياسي والإصلاحي والثقافي، فلقد كان له الأثر الكبير في التّواصل بينهما، من خلال نشر مقالاتهما ورسائلهما في صحفهم وصحف غيرهما.

أما أبو اليقظان فقد نمى لديه الحس الصحفي منذ صغره، فقد كان يسرد محتويات الصحف التونسية والمشرقية على أستاذه الحاج عمر بن يحي[3]، وعلى مجموع إخوانه وأصدقائه، وفي سنة

1 - السّابق، ج1، ص70.

2 - نفسه، ص3.

3- من كبار المصلحين في القرارة، ويعتبر معهد الحياة امتدادا لمعهده، ومن تلامذته أيضا الشيخ بيوض، توفي بالقرارة سنة 1921م، انظر: معجم أعلم الإباضية، مج3، ص 655/654..

1913 حرّر بيده صحيفة كاملة سماها "قوت الأرواح" تعبيرا عن هذا الميل القوي الذي يسميه هو «ميلا فطريا غريزيا» [1]، وفي سنة 1914م وهو يدرس بتونس قدم "قوت الأرواح" تلك للزعيم الليبي الشيخ سليمان الباروني فشجعه على المضيّ في هذا السبيل قائلا:

« لقد أطاعك القلم في النّظم والنّثر»[2]، ثم بدأ حسّه الوطني والإسلامي يتسع، فكان يتتبع ويعيش أخبار العالم، لينشر مقالاته في جريدة "الإقدام" للأمير خالد، وفي الجرائد التونسية من أمثال "المنير" و "الاتحاد" وغيرهما[3]، هكذا إلى أن أنشأ لنفسه جرائد خاصة به، فكان سليمان الباروني باشا ممن ينشر مقالاته فيها كجريدة "ووادي ميزاب" و "النور" و "النبراس" و "الأمة" ، كما كان يتابعها بدقة أيضا، ففي رسالة إلى إبراهيم أبي اليقظان مؤرخة بـ: ربيع الأول 1356هـ يقول:

«وعليه أرجو أن ترسلوا مما نشر ونقلته الأمة من مقالاتي عن حرب طرابلس خصوصا مقالة الرابطة "القول الفصل في حرب طرابلس" التي لم أرها تامة في الأمة ولم أدر السبب...»[4].

أمّا سليمان الباروني باشا فلقد اقتحَم مُعترك السّياسة والصّحافة عندما ملأ قلبه بالقيم الأخلاقيّة والإنسانية، وعقله علما بتنقله بين ليبيا ومصر وتونس والجزائر، فبلُوغه العقد الثالث بدأ مرحلة العطاء بتأسيسيه لجريدتي "الأسد الإسلامي" و "الباروني" والمطبعة البارونية في مصر، بالإضافة إلى نشره مقالاته في الصحف المصريّة والتّونسية والجزائرية.

صحيح أن سليمان الباروني باشا كان ينشر مقالاته في جرائد أبي اليقظان، لكن هل كان أبو اليقظان ينشر مقالاته في جرائد الباروني؟.

رغم أن أبو اليقظان كان ينشر مقالاته في "المنهاج" المصرية، والجرائد التونسية مثلما ذكرنا سابقا، إلا أنه لم ينشر أي مقال في جردتي "الأسد الإسلامي" و"الباروني" الخاصة بسليمان الباروني باشا[5] لأنّ:

---

1 - انظر: أبو اليقظان وجهاد الكلمة، محمد ناصر، أحمد زبانة الجزائر، 1980، ص14.

2- نفسه.

3- انظر: نفسه، ص15.

4 - سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2،ص187،.

5- هذا ما أكده الأستاذ الدكتور محمد صالح ناصر في لقاء أجري معه في بيته بالأبيار– الجزائر العاصمة، يوم 2016/04/09م.

- ❖ أبو اليقظان لم يذكر نشره لمقالاته في تلك الجرائد، يقول عن جريدة "الباروني": «فأخذ ينشر في جريدته هو وكافة أصدقائه مبادئه القومية الوطنية، ليكون جهاد القلم في تلك الفترة عوضا عن جهاد السيف» [1] فهو لم يذكر هنا نشره لمقالاته في جريدة الباروني.
- ❖ جريدة "الأسد الإسلامي" تأسّست سنة 1906م، ولم يصدر منها سوى ثلاثة أعداد، في الوقت الذي كان فيه أبو اليقظان طالب علم في القرارة، أما جريدة "الباروني" التي تأسّست سنة 1913م بتركيا، فربما بعد المسافة حال دون وصول مقالاته إليه.

المطلب الثاني: تاريخ المراسلات بين أبي اليقظان والباروني وطبيعتها.

1) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، نفيه إلى مصر وأثره في التواصل بين الكاتبين.

قد يتساءل القارئ عن سبب إدراج أبي إسحاق في هذا الموضوع وما علاقة ذلك: والحق أن أبا إسحاق إبراهيم اطفيش أدّى دورا مُهما في التّواصل بين سليمان الباروني باشا، وإبراهيم أبي اليقظان، وقد جمعته بهما علاقة وطيدة طويلة، ترجع إلى أيّام أن كانوا طلبة عند القطب اطفيش ببني يسجن، امتدّت تلك العلاقة بعد ذلك عن طريق المراسلات، من ذلك ما جاء من حديث أبي إسحاق عن طبيعة بعض هذه الرسائل؛ قال: «كان الباروني يكتب إليّ بين آونة وأخرى عن مراحل الإصلاح في عمان ومسقط وما يعتروه من العقبات ... ».

ومن الدّلائل أيضا على هذه الرابطة القويّة بين الرجلين شهادة الباروني التي أدلى بها من خلال تهنئةٍ وجّهها لأبي إسحاق حين أصدر مجلة المنهاج، وجاء فيها: « اهنأ أبا إسحاق بهذا الأثر الخالد، الذي رصّعت به تاريخ حياتك، وأنرت به ليالي تعذيبك في سبيل دينك وبلادك...» [2]

أمّا صداقة أبي إسحاق بإبراهيم أبي اليقظان فقد كانت صداقة حميمية أخوية متينة، كانا يفضيان لبعضهما بكل مشاكلهما وهمومهما، فقد كتب أبو إسحاق في إحدى رسائله إلى إبراهيم أبي اليقظان: « إنّي قد أصارحك بأشياء لا أصارح بها غيرك، لثقتي في أخوّتك، وإخلاصك، وإيمانك، وأمانتك». ويقول في رسالة أخرى: « أرجوك أخي أن تتفرد بكتبي إليك، فإن ما أكتبه إليك قد لا

1- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1،ص84.

2 - سليمان الباروني باشا وحضوره في الثقافة العمانية، م1، جامعة السلطان قابوس 2013م، ص51/49 .

أكتبه إلى غيرك، وليس كل أحد يحتمل المعاني التي أكتبها إليك» [1]. هذا ما كان من صداقة أبي إسحاق بسليمان الباروني باشا، و أبي إسحاق بإبراهيم أبي اليقظان.

لكن كيف كان أبو إسحاق إبراهيم اطفيش جسرا للتّواصل بين سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبو اليقظان؟.

لم أقف في رسائل سليمان الباروني باشا إلى إبراهيم أبي اليقظان على عبارة "سأرسلها مع أبي إسحاق اطفيش"، أو " أرْسِلها إلى أبي أسحاق اطفيش حتى يرسلها إلي"، ولا في رسائل أبي إسحاق إلى إبراهيم أبي اليقظان على عبارة "أرسلت رسالتك إلى سليمان الباروني"، أو على أي عبارة تدل على واسطة أبي إسحاق بينهما، إلا أنّ المعلوم أن كليهما كانا يكتبان مقالاتهما في مجلة المنهاج(1930/1925م)؛ التي أسسها أبو إسحاق في مصر، والتي امتدّ حبلها في شمال إفريقيا والشرق الأوسط، لذا كانت هي وسيلة التواصل بينهم، لأن أخبار سليمان الباروني باشا في تنقلاته بين عمان والعراق وتركيا وليبيا كانت تصل إلى إبراهيم أبي اليقظان في الجزائر، والعكس صحيح عبر تلك المجلة[2]، منها ما نشره سليمان الباروني باشا في مجلة المنهاج عن مؤتمر "بهلاء" غربي "نزوى" الذي انعقد في 10 ربيع الثاني 1344هـ، وحضره أقطاب الأمّة من العلماء وقواد الجيوش ورؤساء القبائل، ذكر فيها تفاصيل اللقاء[3]، وهي عبارة عن رسالة من سليمان الباروني باشا إلى أبي إسحاق، لينشرها هذا الأخير بأسلوبه الخاص، وكذا رسالته البليغة إلى المؤتمر الإسلامي المنعقد بمصر لقضية الخلافة عام 1344هـ، والتي نشرها في مجلته كاملة.

2) الحاج عمر العنق وأثره في التواصل بين الكاتبين.

بعد وقوفي على رسائل سليمان الباروني باشا إلى إبراهيم أبي اليقظان، خاصّة في كتابه "سليمان الباروني باشا في أطوار حياته"، وجدت أن مجموعة معتبرة من الرسائل أرسلها سليمان الباروني باشا إلى مجموعة من إخوانه الجزائريين منهم إبراهيم أبو اليقظان باسم الحاج عمر العنق(1882م/1956م)، وقد كانت له علاقة وطيدة بهما، ففي سنة 1332هـ / 1914م

1- الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي، محمد صالح ناصر، ط. الخامسة، كولوريوم، 2013 ص193.

2 - هذا ما أكده لنا د. محمد صالح ناصر.

3 - انظر : سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2،ص18/17.

رافق الحاج عمر العنق سليمان الباروني لتعزية آل الشيخ اطفيَّش، في وفاة أستاذهما القطب. وكان ضِلعًا مساعدًا للباروني في تأسيس البعثة العلميَّة الميزابيَّة بتونس.

اِلتحق في نفس الحقبة بجامع الزيتونة، وبالمدرسة الخلدونية بتونس، فتناول فيهما مختلف فنون العلم و الأدب.

يقول عنه الشيخ أبو اليقظان: «...هو الذي كان يراسلني وأراسله بالجرائد... وقد ابتكرها هو، فراسلني بجريدته: "الرحيق المختوم"، وراسلته بجريدتي: "قوت الأرواح» [1].

كما أنه كان يجمع الأموال ليأخذها بنفسه إلى مرسيليا بفرنسا لإنقاذ سليمان الباروني باشا من محنته التي كان فيها، إذ نفي إليها وأغلقت أمامه كل أبوب البلدان العربية، وضاقت عليه الدنيا آن ذاك[2]، يقول إبراهيم أبو اليقظان: « ...في أثناء إقامته بمرسيليا وهو في حالة لا تبعث على الارتياح- زاره في جانفي 1924م أخوان فاضلان كريمان من الجزائر من بني ميزاب، ألا وهما المرحومان السّيد الحاج عمر العنق والسّيد ترشين سليمان بن الحاج عمر...فإنه لما رجع من تونس (يقصد سليمان الباروني باشا) مُكرهًا إلى مرسيليا كَتب إلينا في أواسط رجب 1342-22فيفري 1924 رسالة بليغة ضمنها أبياتا عالية... » [3].

وكتب سليمان الباروني باشا في رسالة إلى إبراهيم أبي اليقظان مؤرخة بـ: 19 ربيع الأول 1348هـ يقول فيها: « ...قدمت إليكم مع البريد الجوّي كتابًا باسم الحاج عمر لأني لا أعرف العنوان الجديد للأستاذ بعد تعطيل الوادي، أرجو أنّه وصلكم... » [4].

تحمِل الرّسالتين السّابقتين كلاما واضحا على دور الحاج عمر العنق في التواصل بين سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبي اليقظان، فقد كان سليمان الباروني باشا يغتنم فُرصَ لقاءاته مع الحاج عمر العنق ليرسل معه رسائله إلى إبراهيم أبي اليقظان مثلما رأينا، وكان أيضا يسأله في رسائله إلى الحاج عمر العنق عن حال أبي اليقظان، منها ما جاء في رسالة إليه والمؤرخة بـ: سنة 1347هـ يقول فيها:

---

1 - معجم أعلام الإباضية، مج3، ص 629.

2 - هذا ما أكده لنا د. محمد صالح ناصر .

3 - سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1،ص189/187.

4- نفسه، ج2، ص79.

«...طالت المدّة ولم أرَ منك جوابا كما لم أر من الأخ أبي اليقظان جوابا عن جملة كتب أرسلتها إليه، ولما قرأت في الصّحف تعطيل وادي ميزاب علمت أنه في شُغل... » [1].

صداقة الحاج عمر العنق بسليمان الباروني باشا، وإبراهيم أبي اليقظان جعلته خير واسطة بينهما لحمل الرّسائل، ولم ينْحصر دورُ هذا الرجل في هذا فقط، بل حمل مع أبناء أمته أمانة الجهاد بالقلم، وكان من رجالات الإصلاح في الجزائر.

3) تاريخ المراسلات بين الكاتبين

إنّ من أهمّ ما يقرّب بين الإخوان والأصدقاء، هو إعجاب بعضهما ببعض، والتّقارب الفكري والأهداف المشتركة، فطالما وَجد الإنسان من يفهمه، ويُناقشه، ويُساعده كان أوْلى الناس بصحبته، والإفضاء بمشاكله إليه وأسراره، تماما كان بين سليمان الباروني باشا، وإبراهيم أبي اليقظان، منذ أن اِلتقيا في معهد القطب ببني يسجن، يقول إبراهيم أبو اليقظان: «...لما توثق بيني وبينه من حبل المواصلة، وامتدت من أسباب المراسلة من لدن 1325هـ إلى سنة 1357هـ (أي 1904إلى 1936م) فكان لدي بذلك شيء كثير من وثائقه الثّمينة التي تحف حياته الحافلة إلى حد بعيد» [2] إلاّ أن المراسلات في الفترة ما بين 1325هـ-1904م إلى 1341هـ-1920م لم يوردها إبراهيم أبو اليقظان في كتابه سليمان الباروني باشا، ربما لسببين:

- ❖ أن تلك المراسلات ضاعت من إبراهيم أبي اليقظان رغم ما كان يوليها من الاهتمام بالحفظ والترتيب، يقول إبراهيم أبو اليقظان: «وقد أجابني (يقصد سليمان الباروني باشا) عنها برسالة لطيفة كُنت أعدّها من أعلاقي الغالية، ولكن سَطا عليها بعض الفُضوليين من التلاميذ فقطعها وألصقها في جملة ما ألصق من الأوراق ليتخذ منها معا ملفا لكراريسه»[3]، ويقول أيضا: «وقد أرسلت إليه —إذ ذاك وأنا بتونس- رسالة تهنئة على ذلك نثرا، فأجابني عنها برسالة لطيفة لكن مع الأسف لم يكنْ حظها بأحسن من سابقتها إذ تلفت فيما تلف من الأوراق»[4]، هذا يعني أن هناك مجموعة معتبرة من الرسائل العزيزة لدى إبراهيم أبي اليقظان ضاعت.

1- السّابق، ص 210.

2 - نفسه، ج1، ص3.

3 نفسه، ص87.

4 - نفسه، ص88.

❖ أو أنّها لا تشْتَمل على مواضيع ذات أهمية بَالغة تسْتحقّ النّشر، لأنه كان يكتب عن بعض رسائله: «هذا نص محل الحاجة منها»[1]، أي كان يورد ما فيه حاجة للأمّة.

تواصلت المراسلات بينهما سنة 1342هـ/ 1924م في تونس الخضراء، وذلك لما فرّ سليمان الباروني باشا من مُضايقات الاحتلال الإيطالي في ليبيا بسبب نشاطه السّياسي، مما جعله عنصرا خطيرا يُهدّد وجودها هناك، فأثناء وجودِه في تونس لِبضعة أيّام فقط، اِتّصل به إبراهيم أبو اليقظان مع رفاقٍ له من البعثة الجزائرية في تونس، وتحادثا في مواضيع شتّى، قرّرت بعدها أفراد البعثة إقامة حفلة تكريميّة تليق بمقامه الكبير، يسْتدعون فيها المشايخ والأساتذة والمعلّمين والأدباء والتلاميذ، فحرّر إبراهيم أبو اليقظان قصيدة لهذا الغرض مطلعها:

«هِلاَلاَنِ هَلاَّ بِالرِّحَابِ وَأَلَّقَا وَبَدْرَانِ مِنْ أُفْقِ السَّمَاءَيْنِ أَشْرَقَا

إلى أن قال:

أَلاَ أَيُّهَا الضَّيْفُ الكَرِيمُ تَشَرَّفَتْ بِكُمْ تُونُسُ الخَضْرَا وَمَادَتْ تَأَنُّقَا

تَمَنَّتْ لَكُمْ عَيْشًا رَغِيدًا بِجَنْبِهَا فَكَانَ وَكَانَ مَا أَلَمَّ وَفَرَّقَا

وَقَدْ حَظِيَتْ مِنْكُمْ بِمَا حَظِيَتْ بِهِ الْمَلِيحَةُ مِنْ طَيْفِ الحَبِيبِ تَشَوُّقَا»[2].

إلاّ أنّ مُضايقات الاحتلال حالت دون ذلك، فكُشف أمر سليمان الباروني باشا، فضُرب عليه الحصار ثمّ نُفي إلى خارج تونس[3]، يقول إبراهيم أبو اليقظان: «اقتضى وجوده بتونس حُرّاً وأسيرًا بضعة أيام، اِتصلنا به أيام كان حرًا، وتحادثنا معه أنا وطائفة من البعثة العلميّة(...)ومنذ اتصالنا به هناك تواصلت بيننا وبينه المراسلات واستمرّت المكاتبات في سائر أطواره مع عامّة أطوارنا من بعد..» [4]،لهذا الكلام معاني كثيرة يمكن استنتاجها، منها:

❖ أنّ إبراهيم أبَا اليقظان كان يتتبّع أخبار صديقه سليمان الباروني باشا ويتحسَّسُها، فبمجرّد أن سمع بوجوده بتونس بادر هو ومن معه من أفراد البعثة إلى اللّقاء به.

---

1 - السّابق، ج2، ص84

2 - ديوان أبي اليقظان، ج1، جمعية التراث، ط2، ص74/73.

3 - انظر، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1،ص186.

4 - نفسه.

- ❖ أنّ إبراهيم أبا اليقظان مُعجب بشخصيّة سليمان الباروني باشا، إذ انتهز فرصة وجوده لبضعة أيام في تونس، ليقيم ومن معه من أفراد البعثة حفلا تكريميّا، وحضّر لذلك قصيدة.
- ❖ أنّ ذلك اللّقاء وتلك القصيدة، كانا بداية انطلاقة جديدة لمراسلات عديدة وطويلة امتدّت إلى أن قطع حبلها هادم اللّذات.

4) طبيعة المراسلات بين الكاتبين.

منذ أن تواصلت المراسلات بين سليمان الباروني باشا، وإبراهيم أبو اليقظان، في أوّل لقائهما في تونس، تعدّدت الرّسائل في حجمها ومواضيعها، لذا ارتأيت أن أقسمها إلى إخوانية وسياسية وإصلاحية، حتى يسهل عليّ تصنيفها ودراستها.

أ) **الإخوانية** هي الرسائل التي «تُصور عواطف الأفراد ومشاعرهم، من رغبة ورهبة، ومن مديح وهِجاء، ومن عِتاب واعتذار واستعطاف، ومن تهنئة واستمناح ورثاء وتعزية»[1]، وقد كان سليمان الباروني باشا، وإبراهيم أبي اليقظان يسرّان ويفضيان لبعضهما همومهما ومشاكلهما الخاصة، ويجدان في ذلك راحة نفسية لكليهما، فقد كانا يتسلّيان بأخبار بعضهما، ليرفعا همّتهما، ولا يخنعا للذّل والهوان والضّغوط، خاصّة وأنّ أمامهما هدف كبير نبيل، وهو تحرير العقول والبلدان، من بطش ومكائد الاحتلال في كل مكان، وامتثالا للحكمة القائلة: "من كتم داءه قتله"، فإنّ كلّاً من سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبي اليقظان قد عانيا كثيرا من قساوة الاحتلال، وشظف العيش، وقلّة المال ليس من أجل أن يكونا غنيين، بل من أجل مواصلة الجهاد بالسّيف والقلم والحجة والبرهان، فمن مُعاناة سليمان الباروني باشا، حُمى الملاريا التي لازمته طوال 16 سنة؛ أي حتى كانت سبب وفاته، فإننا نجده يشكو آلامه لصديقه إبراهيم أبو اليقظان، فيقول في رسالة له مؤرّخة بـ14صفر 1343هـ:

«حمدا وصلاة– إخوان الصفا، سلاما واحتراما

مرِضت نحو10 أيام بلغت فيها درجة الهلاك ثم زال الضرر والبأس بفضل الله وأني متدرّج في العافية، وبعد أسبوع أتوجّه إلى الجبل الأخضر في عمان حيث الهواء النقي ... »[2] .

1 - تاريخ الأدب العربي–العصر العبّسي الأوّل، ج3، ص491.

2 - سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2، ص77.

وقد كان لحمى الملاريا وقع كبير في حياته، إذ كانت تعِيقه وتمنعُه من زيارة بعض البلدان التي لم يستطع الاحتلال منعه منها، فحمى الملاريا لازمته كالظّل، تظهر أحيانا بشدّة، وتختفي أحيانا أخرى حتى كأن لم يحدث شيء، وهذا ما نلاحظه في هذه الرسالة مؤرخة ب25 جمادى الثانية 1348هـ من سمائل[1] تفيد وصوله إليها من بغداد ومعاودته مرضه وهذا نصها:

« رجعت إلى سمائل من بغداد مخالفا نصيحة الأطباء في عدم الرجوع إليها إلا بعد مدة فبعد وصولي بشهر ونصف عاودني الألم المعهود بشدّة قاسيت به أولا ما الله به أعلم، ثم هان باستعمال الدواء، وأمكنني اليوم أن أكتب إليكم هذا المختصر بتعب، وسأداوم تناول الدواء إلى أن أتمّ أشغالي اللازمة وأجدد الخروج قبل رمضان لكن إلى أين؟ لا أدري والأمر لله. طردت من المغرب إلى المشرق، والآن أطرد بالملاريا من المشرق فإلى أين؟» [2].

ب) **السياسية:** هي المراسلات التي تحتوي على علاقة سليمان الباروني باشا مع قادة عصره، خاصّة الدول المحتلة، فقد أُعتبر سليمان باشا الباروني عنصرا خطيرا يهدّد بقاء الاحتلال الإيطالي في ليبيا، فاضطرت إلى ملاحقته وطرده من أراضيها، فلجأ إلى تونس مُتخفيا، لكن سرعان ما كُشف أمره، فنفاه الاحتلال الفرنسي إلى فرنسا، حاول بعد ذلك جاهدا أن يتحصل على ترخيص من دول الاحتلال لدخول الأراضي العربية، فحاول مع الإنجليز لدخول مصر، ثمّ مع الفرنسيين لدخول تونس أو الجزائر، لكن كانت محاولاته فاشلة، فكل دولة تخشى على نفسها من دخول مثل أولئك الرّجال.

كان لسليمان الباروني باشا أمل كبير في دخول أراضي مصر، التي لجأ إليها العديد من الفارّين من مُلاحقات الاحتلال، وهذا ما نلحظه في رسالة إلى إخوانه في الجزائر[3] مؤرخة ب 05 شعبان 1342هـ جاء فيها:

«السلام– كنت عرفتكم بأن سفارة مصر قابلتني باحترام فائق وكتبت ما يلزم إلى الوزارة في مصر والآن وصلني جواب الشيخ اطفيش[4]: ذكر أنه راجع الوزارة وقال الوزير أنه مستعد لإجابة

---

1 - ولاية من ولايات "محافظة الدَّاخلية" بعمان.

2- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2، ص80.

1 - هناك بعض الرسائل أرسلها سليمان باشا الباروني إلى إخوانه في الجزائر، وكان يفتتحها بـ"إخوان الصفا" ومن جملتهم طبعا إبراهيم أبو اليقظان، لذا يمكن اعتبارها من جملة المراسلات التي جرت بينهما.

4 - يقصد هنا أبو إسحاق إبراهيم اطفيش.

الطّلب إذا كتبت إليه السّفارة حسب الأصول. وعليه فالمسألة إن شاء الله ستختم قريبا وتصح الرؤيا والحمد لله» [1].

لكن خاب ظنّه بعد ذلك ويئِس منها، ومن كل البلدان العربيّة التي أُغلقت أبوابها في وجهه من طرف محتلّيها، هنا تظهر عقيدة المؤمن القوية، الصّابرة والمحتسبة أمرها إلى الله أمام ما تُبتلى من مصائب، هنا اِستسلم سليمان الباروني باشا لإرادة القادِر، ووجّه وجهه إليه، لأنّ أبوابه مفتوحة أمام كلّ العباد، وهذا ما نلاحظه في رسالته التالية مؤرخة ب: 21 رمضان 1342هـ يقول فيها:

« إخوان الصفا– حماهم الله. سلاما واحتراما

الظّاهر أن الحُكومة المصريّة الجديدة اِقتفت أثر أسْلافها في اِستشارة الإنكليز أو الطّليان في مسألتنا(...) بقي باب الله الذي سيفتحه بعد سدّ هذه الأبواب كلّها، إذ حِكْمته تعالى لا تقتضي بسدّ جميع أبواب الدنيا أمامي خاصة. وها أنا مُنتظر ذلك منه فإنه مُفتّح الأبواب الفعّال لِمَا يريد»[2].

كما كتَب في نفس الرّسالة قصيدة ودّع فيها شهر رمضان، وصبّ جام غضبه على دول الحُلفاء، التي سيْطرت على البلدان الإسلاميّة وفرّقتها، كما حَرمتْه من الصّيام مع إخوانه المسلمين، ونحن نعلم الأجواء الإيمانية التي يَصنعها شهر رمضان في تلك البُلدان، قال في قصيدته بعنوان "وَدَاعُ رَمضَان" لعام 1342هـ :

«صُمنَاكَ يَا رَمَضَانُ لاَ عن رَغبَةٍ في مَعشَرٍ قَالَ الصِّيامُ حَرَامُ

صُمنَا نَهَارَكَ قَائِمينَ بِلَيلِهِ حَيثُ الصَّلاَةُ تُعَابُ وَالإِسْلاَمُ

إلى أن قال:

لاَ تَسْمَعُ الآذَانَ تَكْبِيرًا ولاَ يُلْفَى خَطِيبٌ مُرشِدٌ وَإِمَامُ

إلاَّ نَواقِيسًا تُدَقُّ إِذَا أَتَى وَقتٌ تُقَدَّسُ عِندَهُ الأَصْنَامُ

1- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2، ص192.

2 - نفسه، ص192–193.

وقال في شأن دُول الحُلفاء:

دُوَلٌ عَلَى قَهْرِ الأَنَامِ تَحَالَفَتْ فَتَحَكَّمَتْ وَالعَالِمُونَ نِيَامُ
وَغَدَت تُقَسِّمُ مِنْ بِلاَدِ اللهِ مَا شَاءَتْ وَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ سِهَامُ
قَبَضَتْ مَفَاتِيحَ البِلاَدِ وَفَرَّقَتْ فَاشْتَدَّ بَينَ المُسْلِمِينَ خِصَامُ»[1].

لم تُثنه كل المضايقات التي تعرّض لها لِكشف فضائح الاحتلال، فدأَب على نشر مقالات ناريّة يفضحُ فيها المخطّطات الخطيرة لدُول الاحتلال، وكانت لمقالاته تلك صداً ووقْع كبير في نفوس الشّعوب المحتلّة، فكانت تُطالبه بالوقُوف معها من أجل تحرير بُلدانها، فترى فيه الأمل الوحيد بعد الله سبحانه وتعالى، وقد عبّر عن ذلك في مُراسلة إلى صديقه إبراهيم أبو اليقظان، مؤرخة ب ربيع الأول 1356هـ، يقول فيها:

«...كان الطرابلسيين[2] الذين في المهجر: الشام ومصر أدركوا أنهم لا أمل لهم في غير الباروني فأكثروا من مُكاتبتي.

أمّا الذين في تونس فقد تنبّهوا على أثر اِطلاعهم على ما نشرته من مقالات وما كتبه أمين سعيد في مؤلفه عن حرب طرابلس، فجاءتني كُتب من بعضهم يطلبون منّي العمل، وإنه لا أمل لهم في غيري الخ.

وعليه أرجوا أن ترسلوا مما نشر ونقلته "الأمة" من مقالاتي عن حرب طرابلس، خاصّة مقالة الرابطة "القول الفصل في حرب طرابلس" التي لم أرها تامة في الأمّة ولم أدر السبب ومقالي الذي نقلته من الجهاد في أن الحكومة والحرب في طرابلس لم يكونا مبنيَّين على مذهب أو طريقة وإنما على الإسلام والوطن.

من أخيكم سليمان الباروني»[3] .

عندما نتمعن جيّدا في هذه الرّسالة، يمكن أن نستنتج العديد من الأمور، منها:

1 - السابق ، ص193– 194.

2- لعله خطأ مطبعي، والصواب: «كأنَّ الطرابلسيين...»

3 - سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2، ص 187.

- ❖ أنّ سليمان الباروني باشا كان يُرْسل مقالاته إلى إبراهيم أبي اليقظان لينشرها في جرائده، وهذا في قوله « التي لم أرها تامة في الأمّة» ممّا يدلّ على أنّ بعضًا من مراسلتهما كانت على شكل مقالات تنشر في الجرائد.
- ❖ أنّ سليمان الباروني باشا كان يفضح السّياسات الخبيثة لدول الاحتلال عن طريق مقالاته التي كان يسعى لأن تصل إلى كل الشعوب عن طريق الجرائد والمجلات.
- ❖ أنّ سليمان الباروني باشا كان يجاهد ويستعمل خبرته السّياسية من أجل تحرير كل البلدان الإسلامية، وليس فقط ليبيا موطنه.

كما حاول سليمان الباروني باشا إصلاح الأوضاع في عمان بعد أن وصل إليها، بدأ من التقريب بين السلطان تيمور، والإمام محمد بن عبد الله الخليلي، اللذان ساد الجفاء بينهما مدة من الزّمن، هذا الجفاء الذي يمكن أن يستغله الأعداء لتقسيم البلاد، اِسْتشعر سليمان الباروني باشا خطورة الأمر، فلم تتركه نفسه وهمّته العالية أن يقف موقف الحِياد المتفرّج المنتظر لما يحدث، بل حاول جاهدا إعادة المياه إلى مجاريها، فكان لها إذْ حظي باحترام كبير عندهما، والدّليل على ذلك سَفَارته باسم السلطان تيمور، والإمام محمد بن عبد الله الخليلي لدى الملك ابن سعود، والملك علي بن الحسين في الحجاز[1]، يقول في رسالته إلى إبراهيم أبي اليقظان مؤرخة بـ 18 محرم 1344هـ: «وستسمعون إن شاء الله باتحاد كلمة هذه المملكة حتى مع عظمة السلطان، بعد أن شتّتها الدّسائس والأغراض، إني منذ نهضت من ذلك السقم المنهك وأنا أجدّ في ذلك سرّا وجهرا والنجاح محقق بإذن الله، وقد عادوا اليوم مسرورين بما نالوه من الاحترام... »[2] .

يقول إبراهيم أبي اليقظان: «لما علم الباروني أن فكرته من توحيد الكلمة بين جلالة السلطان وعظمة الإمام قد حلت في جميع القلوب محل الإجلال والتقدير، وأنه بعد تجربة الإمام ورجاله سنيتن قد تبين أن الرأي العام عندهم مجمع على وجوب تنظيم المملكة على الوجه العصري الموافق لروح الشريعة الغراء »[3].

ج. **الإصلاحية:** هي الرسائل التي تحتوي على خُطوات وخُططْ سليمان الباروني باشا في محاولاته للإصلاح بين الدول الشقيقة، والشعوب المتناحِرة، فقد حاول سليمان الباروني باشا بعد أن

1 - انظر: السّابق، ص 250/249.

2 - نفسه، ص4.

3 - نفسه، ص28.

طرده الاحتلال ولاحقه هنا وهناك، أن يكشف دسائسه الخفية في التّفرقة بين البلدان الإسلامية لإضعافها وسهولة السّيطرة عليها، ولا يزال مخطّط التفرقة ساريا إلى الآن رغم انكشاف غبار وغمائم الاحتلال، إلاّ أن ظِلّه وبذوره لا يزالان قائمان، يعملان دون أن يشعر بهما أحد، منذ أن وطأت قدما الإنجليز في الأراضي الخليجية إلا وسَعت للتّفرقة بينهم بدأ من الثورة على العثمانيين، وصولاً إلى إيقاع الحروب بينهم، منها مثلا توتر العلاقات السعودية العُمانية بسبب الحدود والامتداد الجغرافي لكلّ منهما، فكاد الأمر أن يصل إلى التناحر بينهما، فحاول سليمان الباروني باشا أن يعقد صلحا بينهما، ويوحّدا كلمتهما وشملهما، ويتّحدان من أجل نصرة إخوانهم المسلمين، فقال في رسالته المؤرّخة ب 18 محرم 1344هـ:

« إخوان الصفا، حماهم الله. السلام عليكم- وصلت القابل[1] ووصلها وفد من شمال عمان يرأسه مشايخ ((دبي)) وكان الاستقبال مهيبا.

قدموا لتأكيد الروابط مع الأمير الشيخ عيسى وحضرة الإمام وتنظيم خطة لصدّ غارة ابن سعود والإنقليز عن تلك الجهات إذ ظهرت دسائسها كما ذكرت لكم سابقا، وستسمعون إن شاء الله باتحاد كلمة هذه المملكة حتى مع عظمة السلطان، بعد أن شتتها الدّسائس والأغراض، وإني منذ نهضت من ذلك السقم المنك وأنا مجد في ذلك سرّا وجهرا والنجاح محقق بإذن الله، وقد عادوا اليوم مسرورين بما نالوه من الاحترام. وقدموا للشيخ عيسى فرسا هدية وقدم إليهم هو ذلولا. سلامي إلى الإخوان والأصدقاء كافة.

ودمتم لأخيكم: سليمان الباروني»[2] .

بعد وصول سليمان الباروني باشا إلى عمان، وبعد تقلده منصب الوزارة، باشر في وضع خطة وبرنامج لتنظيم مصالح الوزارة تنظيما عصرياّ، بدأ بالتعليم، فقد أراد إنشاء أكبر مدرسة ثانوية بعمان وفق الطراز الحديث، يقول في رسالة إلى إبراهيم أبي اليقظان مؤرخة بـ 20 رجب 1347هـ: «....أما بناء المدرسة فمستمر من يوم رجوعي من نزوى نسأل الله الشفاء والإعانة... »[3].

1 - ولاية من ولايات "محافظة الشرقية" بسلطنة عمان، وكانت "دبي" قبل التدخل البريطاني جزءًا لا يتجزّء من دولة عُمان! ولذلك عبر عنه بقوله: (...من شمال عمان).

2- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج1، ص4.

3 - نفسه، ج2، ص46.

أمّا الجيش والصّحة والماليّة، فقد كان له مشروع طموح في هذا، فقد أراد ضبط وإحكام الأمور لمنع الفساد خاصة في المالية، كما سَعى إلى جلب الأطبّاء من الخارج حتى يحسّن ويوفر العلاج اللازم لأهل عمان، حتى لا يضطروا إلى السّفر إلى الخارج للتّداوي، كيف لا وقد عان هذا الأمر بنفسه مع مرض الملاريا الذي منعه في كثير من الأحيان من تحقيق أحلامه الإصلاحية!، وجعله ينتقل بين العراق والهند للتداوي، وكذلك فعل مع الجيش أين حصّن القلاع والحصون، والذخائر الحربية، وحاول جلب ضُباط من الخارج لتدريب الجيش تدريبا عصريا، يقول في رسالة مطولة إلى إبراهيم أبي اليقظان عن هذه الأمور، مؤرخة 04 ربيع الأول 1352هـ:

«...فقد كان من المقرر إنشاء مدارس ومستشفى وتنظيم الجيش والمالية تنظيما عصريا إلى غير ذلك إلا أن ذلك لم يتم حسب المرغوب.

أما المالية فقد نظمت بالنسبة إلى السابق وتنبهت الأمة إلى ما كانت غافلة عنه وأصبحت تتوق إلى الاقتداء بالأقطار الإسلامية التي كانت لا تعلم لها معنى...فحاولنا أن نقنع الدكتور الأمريكاني الذي في مسقط بأن يترك التبشير ويسمح له الإمام أعزه الله بالإقامة في سمائل إذ هيأنا المستشفى فأبى إلا أن يكون بصحبته مبشر، لأن الأموال ال التي تنفق عليه من أمريكا إنما خصصت للتبشير فأصبح المشروع غير تام.

وأما الجيش ففي تنظيمه نقصان لعدم وجود كفاية من المعلمين، وفي جلبهم من الخارج بعض محاذير لا محل لبيانها الآن...»[1] .

5) جدول لرسائل سليمان الباروني باشا الموجودة في كتاب سليمان الباروني باشا في أطوار حياته:

سوف يعطي لنا هذا الجدول صورة واضحة عن مواضيع الرّسائل التي كان يكتبها سليمان الباروني باشا إلى إبراهيم أبي اليقظان، علما أنني رتّبتها ترتيبا زمنيّا لِنرى مدى تسلسُل الأحداث والمدّة الفاصلة بين الرّسائل، عدا الرّسائل غير المؤرخّة فقد رتّبتُها حسب ورُودها في صفحات الكتاب.

1 - السّابق، ج2، ص52/51.

أمّا عناوين الموضوعات، فبعضها مأخوذ مباشرة من الكتاب، وبعضها الآخر وضعت لها عناوين بأسلوبي الخاص، بعد قراءة تمهيد الرّسائل من طرف إبراهيم أبي اليقظان، أو نصّها، وهي التي سطرت عليها بخط.

تاريخ الرسالة	موضوعها	تمامها	الصفحة
01 رجب 1342هـ	حواره مع وزير الخارجية المصرية	كاملة	1ج.51
17 جانفي 1924	مقارنة بين رسمه الرسمي ورسم سعد زغلول	غير كاملة	1ج.52
أواسط رجب 1342هـ	تحفة أدبية للبعثة التونسية	كاملة	1ج.189
05 شعبان 1342هـ	مراجعة أبو إسحاق اطفيش الوزارة المصرية بشأنه	كاملة	1ج.192
21 رمضان 1342هـ	خيبته في دخول مصر	كاملة	1ج.192
05 ذو القعدة 1342هـ	تحفة أدبية للبعثة التونسية	كاملة	1ج.190
16 ذو القعدة 1342هـ	تذكرة بريدية من الاسكندرية	كاملة	1ج.198
18 ذو القعدة 1342	تذكرة بريدية من بيروت	كاملة	1ج.198
13 محرم 1343هـ	حول استقباله في عمان	غير كاملة	1ج.210
30 محرم 1343هـ	قيام وزير المالية لمسقط بوجبة عشاء على شرف الباروني	كاملة	1ج.214
17 رجب 1343هـ	أثر مهرجانات الاستقبال في نفس الباروني	كاملة	1ج.227
14 صفر 1343هـ	مرضه بحمى الملاريا	كاملة	2ج.77

تاريخ الرسالة	موضوعها	تمامها	الصفحة
20 شعبان 1343هـ	الباروني باشا في مسقط	غير كاملة	231.ج1
12ذو الحجة 1344هـ	تهنئة العيد	غير كاملة	3.ج2
4 محرم 1344هـ	وصوله القابل (ولاية من ولايات عمان)	كاملة	3.ج2
18 محرم 1344هـ	استقباله في القابل	كاملة	4.ج2
4 ربيع الثاني 1344هـ	استقباله في نزوى	كاملة	14.ج2
ذو الحجة 1345هـ	جريدة وادي ميزاب	غير كاملة	216.ج2
11 رجب 1345هـ	تهنئة وادي ميزاب	كاملة	38.ج2
11رجب 1345هـ	أحكام الإمام بعمان	غير مالة	52.ج2
1شوال 1346هـ	تهنئة عيد الفطر وشؤون شتى	غير كاملة	208.ج2
20 رجب 1347هـ	أخبار عن مرضه.	كاملة	46.ج2
18 صفر 1348هـ	أخباره في بغداد	كاملة	47.ج2
19 ربيع الأول 1348هـ	حالته الصحية	غير كاملة	79.ج2
28 ربيع الأول 1348هـ	تبشر بانفتاح مصر أمامه	كاملة دون ديباجة	93.ج2
25 جمادى الثانية 1348هـ	وصوله بغداد ومعاودته المرض	كاملة	80.ج2
10 دو الحجة 1348هـ	أخبار عن بناء المدرسة والبيت	كاملة	48.ج2
20 ربيع الثاني 1350هـ	تحسن صحته ووصول ابنه إبراهيم	كاملة	80.ج2

تاريخ الرسالة	موضوعها	تمامها	الصفحة
27 شعبان 1350هـ	شؤون شتى	كاملة	82.ج2، ويوجد جزء منها في ص222.ج2
06 ذو القعدة 1350هـ	حول المؤتمر الإسلامي في القدس	كاملة	153.ج2
20 ذو الحجة 1350هـ	في الديوان والنور	غير كاملة	216.ج2 ويوجد جزء منها في ص224.ج2
25 صفر 1351هـ	انفراج أزمة المرض قليلا عن العائلة	كاملة	83.ج2
18 شعبان 1351هـ	ملخص مذكرته حول مؤتمر نزع السلاح	كاملة دون ديباجة	127.ج2
07 ذو الحجة 1351هـ	لخص فيها الكثير من العبر	غير كاملة	103.ج2
04 محرم 1352هـ	تحسن حالته الصحية	غير كاملة	85.ج2
28 محرم 1352هـ	فكرة هل يمكن تطبيقها؟	كاملة دون ديباجة	107.ج2
13 صفر 1352هـ	عودة المرض إلى ابنه إبراهيم	كاملة	85.ج2
04 ربيع الأول 1352هـ	إصلاحاته في عمان	كاملة	51.ج2
23 جمادى الثانية 1352هـ	عودة المرض إلى ابنه إبراهيم وحيرته بالعائلة	كاملة دون ديباجة	86.ج2
13 رجب 1352هـ	عودة المرض إلى ابنه إبراهيم وحيرته بالعائلة	كاملة دون ديباجة	87.ج2

تاريخ الرسالة	موضوعها	تمامها	الصفحة
14 رمضان 1352هـ	ابن الباروني في بلاط ملك العراق	غير كاملة	105.ج2
28 ذو القعدة 1352هـ	لقاؤه مع أحد مشاهير فرنسا	كاملة دون ديباجة	94.ج2
29 ربيع الأول 1353هـ	جهاد طرابلس الغرب	غير كاملة	194.ج2
جمادى الأولى 1353هـ	جمعية العلماء المسلمين	كاملة دون ديباجة	203.ج2
11جمادى الثانية 1353هـ	قال يا بشراي هذا غلام	كاملة دون ديباجة	109.ج2
12 رجب 1353هـ	جريدة الأمة	غير كاملة	217.ج2
5 شوال 1353هـ	زيارته لوزير فرنسا	غير كاملة	94.ج2
28 ذو الحجة 1353هـ	تأثره من حال بعض الأمراء ءال عثمان	كاملة دون ديباجة	87.ج2
ربيع الأول 1354هـ	شؤون شتى	غير كاملة	214.ج2
محرم 1355هـ	شؤون شتى	كاملة	224.ج2
02 ربيع الأول 1355هـ	محاولته دخول مصر أو الجزائر	غير كاملة	95.ج2
20 ربيع الأول 1355هـ	تحسن حالة أولاده	غير كاملة	88.ج2
06 جمادى الثانية 1355هـ	آمال اباروني	غير كاملة	115.ج2

تاريخ الرسالة	موضوعها	تمامها	الصفحة
16جمادى الثانية 1355هـ	حالة ابنه إبراهيم والعائلة	كاملة دون ديباجة	89.ج2، ويوجد جزء منها في ص96.ج2
02 شعبان 1355هـ	يأسه من مراجعة فرنسا	غير كاملة	97.ج2
03 شعبان 1355هـ	تكشف عن حالة إبراهيم السيئة	غير كاملة	89.ج2
ربيع الأول 1356هـ	أصداء مقالاته في أندية الشرق	غير كاملة	187.ج2
28 ربيع الأول 1356هـ	حوادث ميزاب	غير كاملة	215.ج2 ويوجد جزء منها في ص225.ج2
05 محرم 1357هـ	تجدد المساعي لدخول مصر	غير كاملة	97.ج2
رسالة غير مؤرخة	حوادث قسنطينة	كاملة دون ديباجة	204.ج2
رسالة غير مؤرخة	تهنئة العيد، وتهنئة أبي اليقظان على سياحته في تونس	غير كاملة	205.ج2
رسالة غير مؤرخة	قضية الآذان	غير كاملة	212.ج2
رسالة غير مؤرخة	دعاية غير شريفة ضد النهضة الحديثة	غير كاملة	212.ج2
رسالة غير مؤرخة	في المطبعة العربية	غير كاملة	216.ج2
رسالة غير مؤرخة	شؤون شتى	غير كاملة	225.ج2

من خلال قراءتنا للجدول يمكن أن نستنتج ما يلي:

- ❖ أنّ مواضيعها تنقسم إلى إخوانية كالتّهاني وحالته الصّحية، وسياسيّة كمساعيه لدخول مصر ولقائه مع أحد مشاهير فرنسا، وإصلاحيّة كإصلاحاته في عمان، وقد أشرنا إلى هذا التقسيم سابقا.
- ❖ أنّ الرسائل لا يفصل بينها مدّة معينة، فهناك رسائل بينها 05 أشهر، وأخرى شهر، وهناك ثلاث رسائل في شهر واحد، لنتساءل عن كيفية تنقل الرسائل بينهم؟.

الشّيء الأكيد أن قسما كبيرا من الرّسائل بينهما كانت تنتقل عن طريق الحجاج[1]، لكن كيف نفسر ثلاث رسائل وأحيانا رسالتين في شهر واحد؟، في هذه الحالة يمكن أن تكون عن طريق استغلال سليمان الباروني باشا زيارة بعض الإخوان إليه، مثلما رأينا مع الحاج عمر العنق.

- ❖ أنّ سليمان الباروني باشا كان يكتب أغلب تفاصيل حياته لإبراهيم أبي اليقظان، من زيارات، واستقبالات، وحالة عائلته، وهذا ما نجده في مراسلات عديدة يحكي له عن مرضه، ومرض ابنه إبراهيم، وحيرته في عائلته.

6. منحنى بياني يبيّن عدد المراسلات بينهما في كلّ سنة:

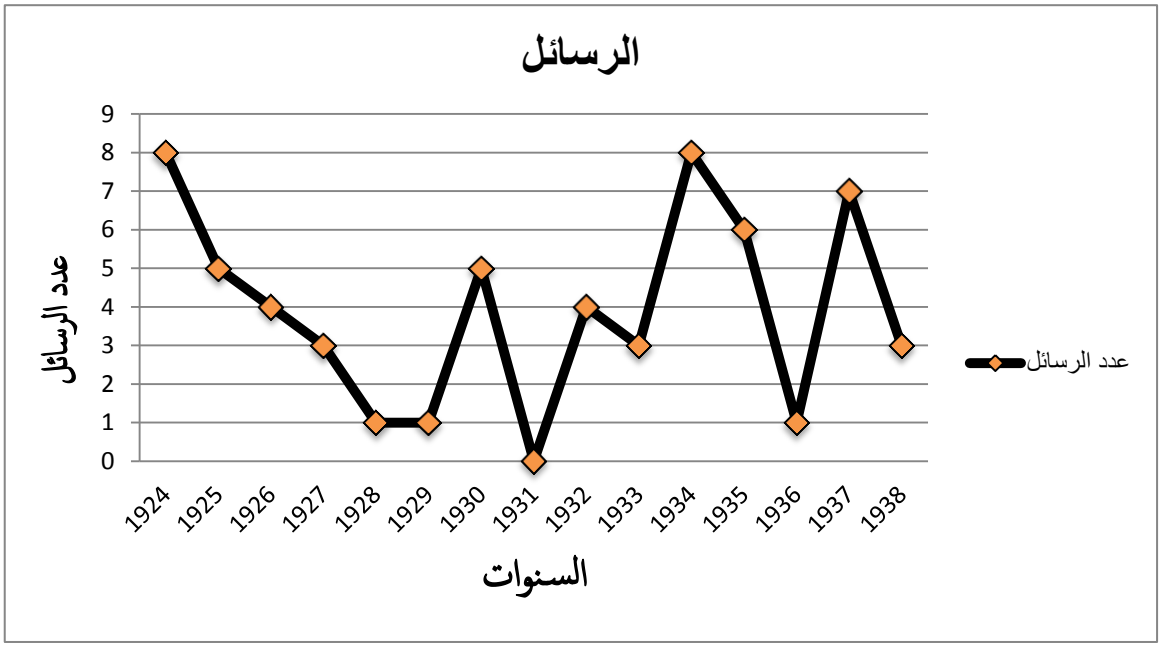

1- هذا ما أكده لنا د. محمد صالح ناصر.

من خِلال قراءتنا للمُنحنى البياني يمكن أن نسْتنتج ما يلي:

- ❖ أنّ أخْصب فترة جَرت فيها المراسلات بينهُما كانت سنة 1342هـ أي 1924م، وهي الفترة التي كان فيها سليمان الباروني باشا منْفيا إلى مرسيليا في فرنسا، ويمكن أن نُفسّر هذا بِقلق صديقه إبراهيم أبي اليقظان عليْه، لأنّ سليمان الباروني باشا عانا مِن شَظف العيْش وقلّة الزّاد في منفاه، فكان أبو اليقظان لا يهنَأ له بال وهو يعرف أن صديقه في تلك الحالة حتى يرُاسله ليعْلَم أخباره، وكان لزاما على سليمان الباروني باشا ردّ الجواب حتى يُطمئنه.
- ❖ تناقصَت عدد الرّسائل بيْنهما بعد ذلك بِسبب اِنفراج أزْمة الباروني واِنتقاله إلى عُمان في السّنة الموالية، فاشتَغل بالإصلاحات فيها، وبالمرض الذي لازمه إلى أن اِنعدمت تماما في سنة 1349هـ، أي1931م، أين أتْعبَه المرض كثيرا وأصْبح كثيرَ التّنقل لِلعلاج، كما أنّها الفترة التي كان فيها أبو اليقظان صَارفًا همّه لتأسيس جريدة النّور بعد تعطِيل وادي ميزاب.
- ❖ عَاد حبْل الوِصال بيْنهما في سنة 1350هـ، أي 1932م وكانت بصفة مُتذبذبة بعد ذلك، أيْن بَلغت ذِروتها أيضا سنة1352هـ، أي 1934م، أي بعْد عشرة سنوات من بلوغ تلك الذّروة، كما أنّها السّنة التي تحسّنت فيها حالة سليمان الباروني باشا الصّحية كثيرا، كما بلغت إصلاحاته في عمان ذِروتها، ومرَض ابنه إبراهيم بالملاريا أيضا، فكان ينقل لهُ كُلْ تلك الأخبار لصديقه أبي اليقظان.

7. شكل الرّسائل التي كانت بينهما:

لقد كان سليمان الباروني باشا يَكتب رسائله إلى إبراهيم أبي اليقظان في أوْراق مُتفاوتة الأحْجام، وأحيانا في التّذكرة البريديّة، وأحيانا أخرى في أوْراق خاصّة بالرّسائل، فيها البَسْملة، ثمّ أسْفلها من اليمين الوزارة العُمانية الجليلة تحتها التاريخ الهجري 1345هـ، واسم "عمان" مُزخرف من الفوق، ومن اليسار العدد، وأسفله مُباشرة التاريخ، وأحيانا لا تجد العدد والتاريخ، ويتراوح حجْمُ رسائله من فقرة بسبعة أسْطر، إلى ثلاث أو أربع أوراق، واستعمل للكتابة قلم الرّصاص، والحِبر البنفسجي الفَاتح، والحِبر الأسود، وأحيانا معًا، وكان يستعمل الرّسم لتوضيح الفكرة إذا اِقتضت الضّرورة ذلك، واسْتخدم في بعض الأحْيان ورقة صَغيرة حَشَر فيها الكلمات، ولِضيق الورقة، أراد أن يستغلّ كلّ فراغٍ فيها، فاضطُرّ إلى تقسِيم الكلمَة إلى نِصْفين، نصف في سطر، ونصفها الآخر في السّطر الموالي.

المبحث الثالث:
رسائل سليمان الباروني باشا إلى إبراهيم أبي اليقظان
دراسة فنيّة

لقد تناولت في هذا المبحث نماذج من رسائل سليمان الباروني باشا في الفترة ما بين (1344هـ إلى 1357هـ) أي (1926م إلى 1938م)، ولقد أقْصيت الفترة (1342هـ إلى 1343هـ) أي (1924م إلى1925م)؛ ظنّا منّي في بداية الأمر عدم وجود مراسلات بينهما في تلك الفترة، لأنّني ركّزت على الجزء الثاني من كتاب "سليمان الباروني باشا في أطوار حياته" في بداية الأمر، أمّا الفترة ما قبل 1342هـ أي 1924م، فكانت قليلة جدّا، وضاعت من جملة ما ضاع من رسائل إبراهيم أبي اليقظان لديه، ولقد وضّحت هذا في المبحث الثاني- تاريخ المراسلات بين الكاتبين-، أمّا تحليل الرّسائل فقد اخترت ثلاثة نماذج من الرّسائل الإخوانية، بينها حوالي ثلاث سنوات.

المطلب الأوّل: دراسة الرّسالة المؤرخة بـ 20 رجب 1347هـ فنّيا.

«بسم الله الرّحمن الرّحيم

خصوصي

20 رجب 1347هـ

جناب الأخ الأستاذ الكامل السّياسي أبي اليقظان زِيدَ قدره.

السّلام عليك ورحمة الله وبركاته، أكتبُ إليك هذه الأسطر مع تعبٍ لملازمتي الفراش منذ شهر بعد رجوعي من نزوى من الألم المعهود، أمّا عيسى[1] فمنذ شهرين لم يبارح غرفته وهذا حالنا مع هواء عمان والأمر لله، أما بناء المدرسة فمُستمر من يوم رجوعي من نزوى نسأل الله الشّفاء والإعانة.

كَتبت إليك قبل هذا على الحوّالة المرسَلة إليك والمرسلة إلى الشيخ الثميني[1] من مدة طويلة، ولعلهما وصلتا الآن، سلامي الخصوصي إلى أخي الحميم السيد الحاج عمر العنق وسرّني

1 - الأرجح أن يكون عمُّه عيسى بن يحي الباروني، انخرط ضمن جمعيَّة الدِّفاع المنضوية تحت قيادة سليمان الباروني باشا، توفي سنة 1936م، انظر: معجم أعلم الإباضية، مج3، ص695/696.

بهذا اشتغاله بتسيير السّيارات من تيقورت إلى ميزاب كان الله في عونه، حصل لي الإذن من ملك العراق في الوصول إلى بغداد للتداوي حيث منعت بريطانيا دخولي إلى كراتشي والهند وسأذهب إلى بغداد إن شاء الله في أواخر رمضان بعد تمام الطبقة الأولى من المدرسة؛ لأن هذا الألم أتعبني ولازمني وأخاف عاقبته والله الميسِّر.

وكأنكم صرفتم النّظر عن المراجعة هناك على الإذن إلى تونس، ودُم سالما لأخيك

سليمان الباروني

هُناك كتاب أرجو تسليمه لصاحبه والتّأكيد عليه في الجواب »[2].

لقد كان سليمان الباروني باشا ينتهز الفُرص لإرسال رسائله إلى إبراهيم أبي اليقظان، مما يجعله يتطرق إلى عدّة مواضيع في رسالة واحدة، مثلما نجده في هذه الرّسالة، فبعد الدّيباجة عبّر له عن مدى تعبه وضعفه منذ رجوعه من نزوى بسبب حمى الملاريا التي سمّاها بالألم المعهود، وكذلك عيسى، وهذا بسبب هواء عمان الذي لم يلائم لا الباروني ولا عائلته، ثمّ تطرّق إلى مواضيع أخرى تتمثل في: بناء المدرسة التي هي في طور الإنجاز، والتي قد أبلغه بها في الحوالة البريدية التي أرسلها إليه وإلى الشيخ الثميني منذ مدّة، ثمّ بعث سلامه إلى صديقه الحميم الحاج عمر العنق، الذي سَرّ به سليمان الباروني باشا كثيرا بسبب اشتغاله في النّقل –ربما نقل الرّكاب أو البضائع– من تيقورت إلى ميزاب (غرداية)، ثمّ انتقل إلى موضوع معالجته من حمى الملاريا التي أراد أن يعالجها في كراتشي بباكستان أو الهند، إلاّ أنّ بريطانيا منعته من ذلك، ليتحصّل أخيرا بإذن من ملك العراق للتّداوي في بغداد التي سينتقل إليها في أواخر شهر رمضان المعظم، بعد تمام الطّابق الأوّل من بناء المدرسة، ثمّ عبّر عن خوفه من عواقب حمى الملاريا التي أتعبته وأضعفته كثيرا وفوّض أمره لله، ثمّ جدّد له موضوع مراجعة السّلطة الفرنسية من أجل السماح له بدخول أراضي تونس، قائلا له «وكأنكم صرفتم النظر المراجعة هناك»، ثمّ ودّعه بدعاء السلام.

بعد أن ختم الرسالة بتوقيعه، ذيّل الرّسالة بجملة يخبر بها إبراهيم أبي اليقظان بأن هناك كتاب يرجو تسليمه لصاحبه، وإبلاغه بذلك.

---

1 - محمد بن صالح بن عيسى الثميني، من بني يسجن – غرداية –الجزائر، كان مساعدا لإبراهيم أبي اليقظان في البعثة العلمية الجزائرية بتونس، توفي في تونس سنة 1970م، انظر: معجم أعلم الإباضية، مج4، ص805/804.

2 - رسالة مخطوطة بحوزة جمعية التراث– القرارة–غرداية– الجزائر. يوجد جزءٌ منها في كتاب سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2، ص46.

الأسلوب:

استعمل سليمان الباروني باشا في رسالته أسلوبا هادئا رزينا، يميل إلى التقارير الإخبارية، إذْ حاول أن يقدّم لصديقه نظرة عامة عن كل أحواله الخاصة في عمان، لذلك نجده يستخدم عبارات طويلة ينتقل من موضوع لآخر في نهاية كلّ عبارة، دون أن يستعمل أدوات للانتقال، أو للربط بين الموضوع السابق باللاحق، سوى مرّيتين حين استعمل الأداة "أمّا" للانتقال من موضوع مرضه إلى مرض عيسى، ومن مرض عيسى إلى موضوع بناء المدرسة، ثمّ جاءت بقية المواضيع بدخول مباشر دون استعمال أي أداة، أو رابط.

استعمال المرسِل لغة بسيطة، لم يكلّف نفسه اختيار أحسن وأعذب الكلمات المحسّنة بديعية، فمفرداتها بسيطة مباشرة لا تحتاج إلى شرح وتفسير لمعانيها، كما أنها مألوفة، دون أن يكرّر لفظة معيّنة سوى ألفظ أو عبارات الدّعاء والاستسلام والخضوع لله، مثل : "الأمر لله"، "كان الله في عونه"، "إن شاء الله"، كما استعمل حرف "الواو" الاستئنافية كثيرا، أي بحوالي عشرة مرّات في هذه الرّسالة التي تحتوي على عشرة أسطر تقريبا من غير الدّيباجة، مما يوحي إلى أنّه عجّل في كتابة الرّسالة فاقتصر على "الواو" دون باقي الحروف الاستئنافية الأخرى كا: "ثمّ" و"إذن"، و"أمّا" التي استعملها مرّيتن فقط في البداية، كما أنّ حرف "الواو" سهل الاستعمال، ولتأديته لغرض آخر وهو العطف، لذا كان أدْعى أن يفضّله على البقيّة، فكثرة الأخبار التي حملتها الرّسالة جعلته يستأنف الأخبار ذات الصّلة في الموضوع الواحد بالواو مثل قوله: "لم يبارح غرفته **و**هذا حالنا مع هواء عمان **و**الأمر لله"، و"من مدة طويلة **و**لعلهما وصلتا الآن"، بخلاف "أمّا" التي كان يستعملها في الانتقال من موضوع إلى موضوع مغاير، أمّا الواو العاطفة فاستعملها في قوله: "كراتشي والهند" و "أتعبني ولازمني "و" الشّفاء والإعانة" أي في اشتراك الحكم الواحد في الأوصاف التي كان يسردها في رسالته المتعلقة بأحواله عامة، لاستعطاف القلوب القارئة للرّسالة، وإظهار حجم المعاناة التي هو عليها.

أمّا حروف الجر فاقتصر على "مِنْ" و "إلى" أكثر من الحروف الأخرى، وهو مناسب للتقارير، إذْ كلاهما يفيدان ابتداء وانتهاء الغاية الزمانية والمكانية كقوله: "فمستمر من يوم رجوعي" و "من تيقورت إلى ميزاب" و"إلى بغداد للتداوي "، والغرض من استعمالها هو ذكره لأعماله وتحركاته التي يقوم بها في عمان، فهو كثير الأعمال والإنجازات بسبب ما تقلّده من مناصب عليا.

غلُب على النّص الأسلوب الخبري، إلاّ ما قلّ من الإنشائي الذي اقتصر على الدّعاء كقوله: "نسأل الله الشّفاء"، و"كان الله في عونه"، و "دم سالما لأخيك"، والغرض من استعماله

للأسلوب الخبري هو توضيح وتقرير المعاني ليبيّن له مدى حَقيقة المؤْقِف، ونَظراً لكثْرة الأخبار التي حملتها الرّسالة، فقد استغلّ فرصة إرساله للرّسالة فبعث مجموعة من الأخبار المخْتصرة دُفعة واحدة.

يُمكن أن نُلاحظ جليّا نفسيّة الباروني المتعبَة، والقويّة في نفس الوقت، وهذا من خلال نصّ الرّسالة، فقد كَتبها وهو في حالة ضُعفٍ وإرهاق شديد، فنجده يقول: "مع تعبٍ لملازمتي الفراش"، و "حالنا مع هواء عمان والأمر لله"، و"نسأل الله الشّفاء والإعانة"، و"أتعبني ولازمني وأخاف عاقبته والله الميسِّر."، ممّا عكس سلبًا على الرّسالة التي نجد فيها استدراكًا لبعض الكلمات والجُمل، خاصّة الجملة الأخيرة التي يخبر فيها إبراهيم أبي اليقظان بأنّ هُناك كتابًا يرجو تسليمه لِصاحبه، وإبلاغه بذلك، في نفس الوقت نجدُه يُسَرّ بخبَر أصحابه؛ كاشتغال الحاج عمر العنق، ويدعو لهم بالتّوفيق والإعانة.

بناء وشكل الرّسالة:

اِفتتح سليمان الباروني باشا رسالته بالبسملة، ولقد جرت أغلب رسائله بهذا الشّكل، والافتتاحية بالبسملة اِختلف فيها المرسلون عبر القرون، فمنهم من يفرضها، ومنهم من لا يفرضها، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم عند مُكاتبته للمُلوك يفتتح رسائله بالبسملة، وقد اِشترط بعض النّقاد أن تُفتتح الرّسالة بالبسملة ليبارك لهم فيما يحاولون ويؤجرون عليه[1]، وكان أبو إسحاق إبراهيم اطفيش يفتتح رسائله بالبسملة ثمّ الصّلاة على محمد صلى الله عليه وسلم، مثلما نجد في رسالة له إلى أبي اليقظان مؤرخة حوالي 1385هـ/1938م يقول فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

عزيزي الشيخ الجليل أبا اليقظان الحاج إبراهيم. رعاه الله وحماه وبعنايته أحاطه. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى من حولك من الإخوان والأنجال» [2].

بعد البسملة حيّا أخاه بالتّحية الأخويّة المشتملة على مجموعة من الصّفات الدّالة على الصّداقة المتينة بينهُما، وللرّفع من همّته، ومن النّقاد من يعتبر تلك التّحية أو العِبارة الدّالة على المرسَل إليه، عنوانا للرّسالة، ويُفسّر الكلاعي سبب تسمية العنوان بهذا قائلا: لأنّه يدلّ على الكِتاب ممّن هو إلى

1 - فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، ص111.

2 - مشايخي كما عرفتهم، ص47.

من هو[1]، بعد التّحية الأخويّة، أو العنوان حيّاه بتحيّة الإسلام، ثم دخل الموضوع مباشرة، واختتمها في الأخير بالدّعاء له بالسلامة، ثمّ التوقيع، إلاّ أنّه بعد التوقيع كتب عبارة يطلب فيها من إبراهيم أبي اليقظان تسليم كتاب لصاحبه وإبلاغه بذلك فيما بعد في الجواب اللاحق، وأحْسب أنّ هذه العبارة استدركها استدراكا، لم يقصد وضعها في أسفل الرّسالة بعد التوقيع، بسبب تعبه الشّديد لدى كتابته للرّسالة، وقد صرّح بهذا بنفسه، مثلما نجد في السّطر الأوّل من الرّسالة كلمة "الأسطر" فوق السّطر بين "هذه مع"، في عبارة "أكتب إليك هذه مع تعبٍ"، لتصبح "أكتب إليك هذه الأسطر مع تعبٍ"، مما يدلّ على أنّه كتبها في عُجالة، ودون تسويدها، فجعله يستدرك بعض الكلمات والعبارات بسبب مرضه.

كُتبت هذه الرّسالة بالحبر البنفسجي الفاتح في ورقة جاهزة خاصة بالرّسائل، فيها البسملة، ثمّ أسفلها من اليمين الوزارة العمانية الجليلة تحتها التاريخ الهجري 1345هـ، واسم "عمان" مزخرف من الفوق، ومن اليسار العدد، وأسفله مباشرة التاريخ، كما كَتب بجانب الوزارة العمانية الجليلة كلمة "خصوصي" التي تدلّ على أنّ هذه الأخبار تخصّه هو شخصيا، لا أخبار عن عمان أو العالم، وقد جرت بعض رسائله بهذا الشكل.

سياق النّص:

كُتبت هذه الرّسالة في عمان، أي بحوالي أربع سنوات من محاولته الاستقرار فيها، إلا أنّ سليمان الباروني باشا لم يعرف حمى الملاريا إلاّ هناك، فهَواء وجوّ عمان لم يلائم الباروني وعائلته تماما، فقد عانا منه حتى آخر أيامه، وكثيرا ما اشتكى في رسائله لصديقه إبراهيم أبي اليقظان هذا الأمر، فتارة يخبره بمرض ابنه إبراهيم، وتارة بمرضه هو، وتارة بأخيه عيسى، مما جعله ينتقل بين العراق والهند للتداوي؛ يداوي نفسه، وأحيانا أخرى ليداوي ابنه إبراهيم، هذا ما أخّره كثيرا عن مخطّط الإصلاحات التي كان يسعى إليها في عمان، وكان لديه أمل في الانتقال إلى تونس بعد سماح الاحتلال الفرنسي له بذلك، فكان يطلب من الإخوان مراجعة الحكومة هناك، مثلما نجده في هذه الرّسالة.

مِن أبرز القيم الأخلاقية التي يمكن أن نستنتجها ضمنيّا من الرّسالة، هي تواضعه، فقد كان يتألم من الحمى التي أنهكته كثيرا، مع ذلك نجده يعتذر لصديقه إبراهيم أبي اليقظان عن عدم

1 - فن الرسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، ص113.

كتابته لأخبار عمان، ربما من أجل أن ينشرها أبو اليقظان في جريدته، كما كان يدعو بالعون والتّوفيق لصديقه الحميم الحاج عمر العنق الذي سُر حين علم بأنه يعمل ولو في مجال النّقل، ودعا بالمكانة وزيادة القدر لصديقه إبراهيم أبي اليقظان، كلّ هذا وهو متعب في الفراش، وهو أحْوج النّاس إلى الدعاء.

ملاحظة:

لقد أورد إبراهيم أبو اليقظان في كتابه مجموعة كبيرة من رسائل سليمان البراوني باشا إليه، وكان يورد بعضها كاملة، وبعضها الآخر غير كاملة، أمّا الرّسائل الكاملة فكان يكتب فيها: هذا نصّها[1]، مثلما نجده في الجزء الثاني من كتابه هذا صفحة (46)، إذْ أورد هذه الرّسالة من البسملة، إلى التوقيع، إلاّ أنّ الغريب في الأمر أنّ بعض العبارات موجودة في الرّسالة المخطوطة، غابت في الكتاب، وهي : "كتبت إليك قبل هذا على الحوالة المرسلة إليك والمرسلة إلى الشيخ الثميني من مدة طويلة ولعلهما وصلتا الآن سلامي الخصوصي إلى أخي الحميم السيد الحاج عمر العنق وسرّني بهذا اشتغاله بتسيير السّيارات من تيقورت إلى ميزاب كان الله في عونه"، و "وكأنكم صرفتم النظر عن المراجعة هناك على الإذن إلى تونس"، و العبارة المذيّلة في الصفحة: "هناك كتاب أرجو تسليمه لصاحبه والتأكيد عليه في الجواب"، وحتى كلمة "خصوصي" لم تورد في الكتاب أيضا، مما يجعلنا نطرح عدّة فرضيات هي:

- ❖ الفرضية الأولى: أنّ إبراهيم أبي اليقظان لم يجد في ذلك حاجة للأمّة، لأنّه كان يكتب في بعض عرضه للرّسائل «هذا نصّ محلّ الحاجة منها[2]، ولوكان الأمر كذلك فلماذا كتب في بداية الرّسالة هذا نصّها، بدل هذا نصّ محلّ الحاجة منها؟.
- ❖ الفرضية الثانية: أنّه خطأ في الطباعة، وأنّ الذي قام بطبع الكتاب أسقطها، أو سها عنها، ولوكان الأمر كذلك، فلماذا كلّ تلك الفقرة الكبيرة؟، فالأجْدر أنّه يسهو عن كلمة أو اثنتين.
- ❖ الفرضية الثالثة: أنّ تلك العبارات احتوت على أسماء أشخاص، كالحاج عمر العنق، والثميني، فربما وجد إبراهيم أبو اليقظان حرجا في ذكرهما إذْ لا يقبلان، ولو كان الأمر كذلك، فلماذا حذف العبارة التي تحثهم على مراجعة أمره لدى السلطة الفرنسية في تونس؟ وليس في هذا حرج لأنّه قد أورد رسائل من هذا النّوع في كتابه، ولو كان في ذكر الأشخاص الموجودين في الرّسالة

1 - سليمان الباروني باشا، ج2، ص46.

2 - نفسه، ج2، ص94.

حرج أيضا، فلماذا أورد الرّسائل الشّخصية للحاج عمر العنق مع سليمان الباروني باشا في كتابه هذا أيضا؟.

يمكن أن نستنتج في الأخير أنّ عبارة "هذا نصّها" الموجودة في كتاب "سليمان الباروني باشا في أطوار حياته" لإبراهيم أبي اليقظان لا تعني أنّ الرّسالة كامِلة، ولو أوْردها من البسملة ثمّ التّحية إلى التوقيع.

كما سجّلنا خطأ في هذه الرّسالة الموجودة في كتاب "سليمان الباروني باشا في أطوار حياته"، في عبارة: «أمّا عيسى فمنذ شهر لم يبارح غرفته»، بينما في الرّسالة المخطوطة نجد فيها: «أمّا عيسى فمنذ شهرين لم يبارح غرفته»، ممّا يدلّ على أنّ الأخطاء المطبعيّة في الكتاب وارِدة بشكل لافت.

المطلب الثاني: دراسة الرّسالة المؤرخة بـ 20 ربيع الثاني 1350هـ فنّيا.

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلاّمة المحنك المجاهد بقلمه ولسانه في سبيل دينه وَوطنه الأخ الشيخ أبي اليقظان دَام مُوَفقا.

السّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد– فإني في صحّة ولله الحمد، لم يعاودني الألم المعهود منذ ثلاثة أشهر، وهذه أول مرّة بقيت فيها صحيحا أكثر من شهر واحد منذ 7 سنين.

وصل ابننا إبراهيم من الاسكندرية زائرا بعد أن أذنت له إيطاليا فزار العائلة في الجبل[1] بعد فراق دام تسع سنين والحمد لله، وأنا الآن في انتظار وصول العائلة، فقد ورد منها من مدة كتاب بأن إيطاليا أذنت لها في السّفر فبارحتْ الجبل قاصدة إلينا على طريق اسكندرية وبيروت والشام وبغداد والبصرة، ونسأل الله لها السلامة وجمع الشمل الذي شتته تحكّم دُول الحلفاء علينا خاصة أكثر من عشر سنين، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

سلامي إلى الأصدقاء كافة. ومِن هنا الأصدقاء في سمائل وابننا إبراهيم يسلمون عليكم.

من أخيكم سليمان الباروني »[2]

1- يقصد «جبل نفوسة»، وهو عبارة عن سلسلة جبلية تظمُّ عدَّة مدن غرب ليبيا منها: نالوت، ويفرن وجادو وكاباو... حيث مسقط رأس الباروني.

2- رسالة مخطوطة بحوزة جمعية التراث، يوجد جزء منها في كتاب سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2، ص80.

على عكْس الرّسالة السّابقة فقد ركّز سليمان الباروني باشا في هذه الرّسالة على موضوع واحد، وهو حالته الصّحيّة هو وعائلته، فذكر فيها بعض التّفاصيل الخاصة من حياته، مما يدل على مكانة أبي اليقظان في نفسه، فبدأ الرّسالة بعد الدّيباجة بحالته الصّحية التي تبعث على الارتياح، وأنّ المرض لم يُعاوده منذ ثلاثة أشهر وهي فترة كبيرة مقارنة بالسّنين السّابقة، ممّا يدلّ على المعاناة الشّديدة التي كان يتلقّاها من جرّاء الحُمّى، ثم عرّج إلى ابنه إبراهيم الذي كان في مصر يزاول دراسته فيها إلى أن تحصّل على شهادة الباكالوريا، بعد فراق أهله مدة تسع سنين، وهي فترة كبيرة جدا لِفراق ابنٍ لعائلته، وينتظر الآن سليمان الباروني باشا اللّقاء بهم في عُمان بشوق، بعد غياب أكثر من عشْر سنين بِسبب مُضايقات الاحتلال له، ممّا يُصوّر الحالة المأساويّة التي آلت إليه أسْرته من جرّاء الاحتلال، وتضحياتها من أجل وطنها، فبعضُها في عُمان، والآخر في مصر، والآخر في الوطن ليبيا، وهذا كله لم ينسه عائلته الثانية وهي أصدقاءه الذين كان يُشاركونه همومه وآلامه وطمُوحاته، ويُخفّفون عنه الحِمل الذي هو عليه.

الأسلوب:

يسُود على الرّسالة الارتياح والتفاؤل الكبير من قبل المرسِل، ولقد لمسنا هذا من خلال العبارات الموجودة فيها، فمِن العبارات: "فإني في صحة ولله الحمد" و"الحمد لله" و "نسأل الله لها السلامة وجمع الشمل"، كلّها عبارات تبعث على الشّكر والثّناء لله على ما هو عليه من الارتياح بعد المعاناة، واسْتخدم في هذا عبارات طويلة، ينتقل من فِكرة إلى أخرى عقب نهاية كلّ عبارة، كما يمكن أن نُلاحظ جليّا عاطفة الباروني الفطريّة المتأصِّلة في النّفس وهي حنان الأب وشوقه لعائلته، فصبره مدّة عشر سنين على فِراق الأهل لهُوَ أمر صعْب وشاق جدّا، خاصّة وأنّ الفِراق لم يكن مقصودا منه، ولا لِأغراض شخصيّة، بل من أجل الدّفاع عن الأمّة الإسلامية وتخليصها من مخالب الاحتلال وفضح سياساته، كلّ هذا لم يثنه عن مواصلة ما بدأه.

اِختار المرسل لغة بسيطة في كتابة رسالته هذه، ومفردات في المتناول لا تحتاج إلى شرح وإبراز معانيها، كما أنّه تحاشى الإطناب ولجأ إلى الإيجاز.

غلب على النّص الأسلوب الخبري، لأن المرسل ينقلُ أخباره إلى صديقه، واقتصر في الأسلوب الإنشائي على الدّعاء، وكان غرضه من هذا هو الرّجاء في تحقيق آماله وسعادته التي يسعى من أجلها من خلال لم شمل العائلة.

بناء وشكل الرّسالة:

افتتح سليمان الباروني باشا رسالته بالبسملة، ثمّ عبارات التشجيع والثناء والمدح لصديقه، المتمثلة في التّحيّة الأخوية، ثم التحية الإسلامية " السلام عليك ورحمة الله وبركاته"، وكانت الرّسائل بين الأدباء في بداية القرن العشرين تجري أغلبها على هذا النّحو، وأحيانا لا يكتبون البسملة، فنجد مثلا في رسائل الرافعي إلى محمد أبو رية الافتتاحية في إحدى رسائله: «أيها الأديب الفاضل، السلام عليكم ورحمة الله وبعد.. »[1]، وأحيانا يدخلون في الموضوع مباشرة مثلما نجد في رسائل أبي القاسم الشابي إلى محمد الحليوي «أخي الفاضل وصديقي الحميم سيدي محمد الحليوي، تحية صديق ومودة أخ، وبعد فقد عزم ... »[2]، كما أنّ للافتتاحية دوراً كبيراً في معرفة محتوى الرسالة من حيث الأخبار السارة والحزينة، ففي هذه الرّسالة التي أرسلها سليمان الباروني باشا إلى إبراهيم أبي اليقظان وافتتحها بالتّحية الأخويّة يمكن أن نستنتج:

- ❖ أنّ المرسِل في حالة فرح وأمل وتفاؤل كبير.
- ❖ أنّ الرّسالة تحمل أخبارا سارة تبعث على الارتياح بعد الانتظار الطويل.
- ❖ أنّ المرسَل إليه في حالة تعبٍ وضعف لما لا قاه من مضايقات فيحاول أن يرفع من معنوياته.
- ❖ أنّ المرسِل مُعجب بالمرسَل إليه من خلال كتاباته والأخبار التي تصل منه أو عنه.

بعد تحيّة أخيه ينتقل إلى الموضوع المراد منه من تلك الرسالة، واستخدم لذلك عبارة "أما بعد" وهي كلمة شائعة تستخدم للانتقال من الدّيباجة إلى الموضوع، أو ما يطلق عليه بحسن التخلص، وتُستخدم هذه العبارة في الخُطب، والوصايا، وأوّل من استعملها قس بن ساعدة الأيادي، يقول الزركلي عن هذا في كتابه الأعلام: «وأول من قال في كلامه (أما بعد) »[3]، ولقد استعملها الباروني في أغلب رسائله.

أمّا خاتمة الرسالة، فيمكن تقسيمها إلى نوعين:

- ❖ **خاتمة حسْب الموضوع**، فموضوعه كان حول معافاته من مرضه، ورجائه من اللقاء به وبعائلته بعد فراق طويل، وهذا اللقاء مرهون بمدى استجابة وتسهيل السلطات المحتلة لعائلته للسفر،

1 - رسائل الرافعي، محمد أبو رية، الدار العمرية، 1934م، ص17 .

2 - ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط2،1994م، ص217.

3 - الأعلام، خير الدين الزركلي، ج5، ط5، دار العلم للملايين، 1980م، ص 196.

فكانت الخاتمة، «ولله الأمر من قبل ومن بعد»، أي خضوع واستسلام لقضاء الله وقدره، وأن كل ما يحدث له مقدر من عند الله عزّ وجل.

❖ **خاتمة حسب غرض الرسالة،** لأن الغرض من الرسالة هو التّواصل مع إخوانه، والسؤال عن أخبارهم، وأحوالهم، فبعث لهم تحية في خاتمة الرسالة.

كَتبَ سليمان الباروني باشا هذه الرّسالة في ورقة خاصة بالرّسائل، تشتمل على البسملة في أعلى يسار الورقة، ثمّ أسفلها من اليمين الوزارة العمانية الجليلة، تحتها "1345هـ"، وفوقها كلمة "عمان" مزخرفة، واستعمل في الكتابة الحبر الأسود، عَدا العِبارة الأخيرة مِن: "سلامي إلى الأصدقاء" إلى التوقيع، وكلمة خصوصي المسطّرة في بداية الرّسالة بجانب الوزارة العمانية، فكَتبها بِالحبر البنفسجي الفاتح.

سياق النّص:

كتبت هذه الرّسالة في ظروف هادئة ومريحة بالنسبة لسليمان الباروني باشا، خلافًا للرّسالة السّابقة التي كان يعبّر له فيها عن إرهاقه الشّديد وتعبه بسبب المرض، وهذا ما نلمسه من خلال نص الرّسالة، فقد كان يواصل إصلاحاته في عُمان التي وصل إليها قبل حوالي خمس سنوات، مما يدلّ على أنّه خرج من الأزمة المالية التي كان يعاني منها، إلا أنّ الغريب أنّ هذه الرسالة جاءت بعد انقطاع مدّة سنة وأربعة أشهر، وهي أطول فترة انقطعت فيها المراسلات بينهما، لأنّ انقطاعا مشابها دام سنة وثلاثة أشهر كان بين سنتي 1346/1345هـ، كما لم يذكر في هذه الرّسالة شيئا عن هذا الانقطاع، كما أنّ مقالاته إلى إبراهيم أبي اليقظان أيضا انقطعت في هذه الفترة، مما يطرح عدّة فرضيات عن سبب هذا الانقطاع يمكن أن نوجزها في النّقاط الآتية:

الفرضّة الأول: أنّ هذا الانقطاع حدث بسبب تنقلاته بين الدّول والأقطار من أجل العلاج من حمى الملاريا التي كانت تعاوده في كلّ شهر، والإصلاحات التي كان يباشرها في عمان، فهذان الأمران شغلاه عن مراسلة أبي اليقظان، وهذا ما نجده في الرّسالة الأخيرة قبل هذا التاريخ والمؤرخة بـ: 10 ذو الحجة 1348هـ حيث ذكر تعبه ومعاناته من حمى الملاريا، وبنائه للمدرسة في سمائل بعمان، يقول فيها: «...إنني في خير لولا ملازمة الألم المعهود، وإني أستعدّ للسفر ولا أدري الآن إلى أين؟ والله يقدّر الخير، قد تمّ بناء المدرسة والبيت... »[1].

1- سليمان الباروني باشا، ج2، ص48.

الفرضية الثانية: أنّه لم يكن هناك انقطاعا، فقد تحاشى إبراهيم أبو اليقظان ذكرها في كتابه لأنه كان يُورد ما في حاجة الأمّة إليها.

الفرضيّة الثالثة: أنها ضاعت من جملة ما ضاع من رسائل سليمان الباروني باشا لدى إبراهيم أبي اليقظان، وقد بيّنا هذا في المبحث الثاني –تاريخ المراسلات بين الكاتبين–.

والأرْجح أنّ هناك فعلا انقطاعًا في المراسلات بينهما، بسبب انشغالات سليمان الباروني باشا الكثيرة، وهذا ما نجده في رسالة له غير مؤرَّخة (والمرجّح أن تكون بين (ذي الحجة ومحرم وصفر وربيع الأوّل) لأنّ الرّسالة التي نحن بصدد تحليلها مؤرخة بربيع الثاني) يقول فيها: «...تلقيت كتابك الكريم في 23 ذي القعدة 1349هـ بعد زمن طويل(...)أرجو اتصال كتبك كلّما حانت فرصة، وإن تأخرت عنك كُتبي فإنّ أعذاري كثيرة وشوقي إلى أخباركم عظيم...»[1]، فمن هذه الرّسالة يتضح لنا أنّ كلاًّ من سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبي اليقظان يقطعان المراسلات بينهما بسبب مشاغلهما الكثيرة.

المطلب الثالث: دراسة الرّسالة المؤرخة بـ 05 شوّال 1353هـ فنّيا.

« بسم الله الرحمن الرحيم

05 شوال 1353هـ بغداد

حظرة الأستاذ الجليل العبقري الأخ الشّيخ أبي اليقظان دَام موفقا.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كلّنا في صحّة وهناء والمنّة لله، اهنيئك والإخوان كافة بعيد الفطر المبارك، وأقدم لك تهنئتي الخصوصيّة بسياحتك إلى تونس، وما لاقيته من رجالها العاملين من الاجلال والاحترام، وما شنّفت به أسماعهم من خطبك الرنانة[2] التي أدخلت علي من السرور ما الله به أعلم فلله أنت، زادك الله توفيقا وإعانة على إظهار ميزاب والجزائر كلّها بالمظهر اللامع الفتان، الذي يجدد ذكرها ويحي مجدها بين الأقطار. تحيتي القلبية إلى رجال العمَل للدين والدنيا الإخوان الكُل جمعية العلماء المسلمين ورئيسها البطل الجليل. إبراهيم يقدم لكم احترامه. وصَلَني جواب

1 - السّابق، ص212.

2 - يشير إلى خطبة ألقاها أمام نخبة من الأدباء بتونس في 09 ديسمبر 1934م موضوعها: "الحركة الأدبية الحديثة في الجزائر" .

الأستاذ العنق أرجو تقديم تحيتي إليه وإلى الأخ الأستاذ متياز[1]. مع هذا قصيدة نشرَتْهَا جريدة الإخاء الوطني رأيت من المناسِب طبعها مع مقالاتي باسم صاحبها لموافقتها لما كتبته في بعض مقالاتي والرّأي لكم. سأكتب جوابا مفتوحًا إلى الملك ابن سعود أحذره مما باشر فيه في إعطاء الامتيازات للأجانب في الحجاز، وسأرسل إليك نسخة من الجريدة التي تنشره للطبع. من أخيكم سليمان الباروني.

خصوصي

زُرْت وزير فرانسا يوم 01 ديسامبر، فاحتفل بي كثيرا وقال إن الصّديق المستشرق قد صرف جهده فيما وعد به كما فعل هو أيضا، لكن الوضع السياسي الحاضر وتشدّد إيطاليا في المعارضة بصورة لا توصف رأى من الأوْفق الانتظار إلى أن تنجلي هذه المشكلات. ثم وعد بأنه سيجدّد الكتابة ولو بالإذن إلى مراكش ...فشكرته فليكن ذلك في علمكم ». [2]

لقد حملت هذه الرّسالة عدّة مواضيع أراد أن يبلّغها سليمان الباروني باشا إلى صديقه أبي اليقظان، فقد استغلّ مُناسبة العيد ليهنئه بتلك المناسبة، وعلى سياحته إلى تونس، ثم وجه تحيته القلبيّة لجمعية العلماء المسلمين، ولرئيسها خاصة عبد الحميد بن باديس الذي وصفه بالبطل الجليل، ليبلغه بعد ذلك تحيّة واحترام ابنه إبراهيم، ثم تبعها بمجموعة من الأخبار بدء بالأخبار الأخوية، وذلك بإبلاغه وصول رسالة الحاج عمر العنق، ليرسل معه تحية إليه وإلى السيد متياز، ثمّ الأخبار العامة المتمثلة في:

- ❖ إرسال قصيدة نُشرت في جريدة الإخاء الوطنية توافق آراء الباروني، فاقترح على إبراهيم أبي اليقظان طبعها مع مقالاته في الجريدة، وأحسب أنّه يقصد جريدة أبي اليقظان لأنه قال في الأخير «والرأي لكم».
- ❖ كتابة رسالة مفتوحة لملك السعودية يحذره من اتخاذه مجموعة من القرارات لصالح الأجانب، والرسالة المفتوحة عكس الرسالة الخاصة، فهي تكتب وتنشر في الجرائد أو المجلات ليطّلع عليها العامّة، لِتصل بطريقة غير مباشر إلى ملك السّعودية، والسّبب في اختياره هذا السّبيل هو ربّما عدم وجود علاقة متينة معه، ولأّن أبا اليقظان أخوه مثلما وصفه في ديباجة الرّسالة فكان لزاما

1 - إبراهيم بن بنوح متياز من بني يسجن- غرداية -الجزائر، كان عضد إبراهيم أبي اليقظان في جهاده الصّحفي، توفي سنة 1981م، انظر: معجم أعلم الإباضية، مج2، ص20/19.

2 - رسالة مخطوطة بحوزة جمعية التراث، يوجد جزء منها في كتاب سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2، ص205،206.

عليه أن يطّلعه على تلك الرّسالة من خلال إرسال نُسخة من الجريدة التي ستُنشر فيها، ليطبعها في جريدته "النّبراس"، لتعميم الفائدة، ولإخبار وتحذير الدّول التي قد تقع في نفس الخطأ.

بعد هذه الأخبار العامّة، كتَب كلمة "خصوصي" وسطّر عليها، ولا أحْسَب أنّه يقصد أن لا يطّلع على الخبر غير أبي اليقظان، وأنّ ما قبله يمكن أن يطّلع عليها غيره كالحاج عمر العنق، أو متياز إبراهيم، أو غيرهم من إخوان الصفا الذين كان يبعث لهم من حين لآخر، لأنّ شخصًا كالحاج عمر العنق الذي وقفَ معه في محنٍ كثيرة خاصّة عندما نُفي الباروني إلى فرنسا لا يمكن أن يُخبّئ عنه خبرا كهذا، وإنما يقصد بالخبر الخصوصي أنّه خاصّ بأخباره هو –أي سليمان الباروني باشا–، لأنّ ما قبله عبارة عن أخبار عامة عن غيره، –ولقد رأينا هذه العبارة في الرّسالتين اللتين قمت بتحليلهما سابقا–، ويتمثل هذا الخبر في زيارته لوزير فرانسا الذي احتفل به كثيرا، وجدّد له موضوع السّماح له بدخُول تونس أو الجزائر أو ليبيا رُبما، إلاّ أنّ إيطاليا قد شدّدت كثيرا على المعارضة –منهم الباروني– في تلك الفترة ممّا يجعل أمر اِنتقاله إلى إحدى تلك البلدان أمرا صعبًا، فرأى الوزير الانتظار حتى تهدأ الأوضاع في ليبيا ليحلّ له مُشكلته، لكنّه وعده بعد ذلك بأنّه سيُجدّد المسْعى من خلال الكتابة إلى السّلطة في مراكش، فشكره الباروني على ذلك.

الأسلوب:

يظهر لنا من خلال الرّسالة أسلوب الباروني باشا في الكتابة، فقد اِتّخذ أسلوب التّشجيع، وهو تماما ما يفعله القادة الحقيقيون، فقد هنّأ أبا اليقظان على سياحته إلى تونس، وكان غرضه من ذلك أن يبلغه مدى إعجابه بتلك الخُطبة التي ألقاها على النّاس، ويُشجّعه على المضيّ قُدما من أجل تنوير عقولهم، ومن خلال إبلاغه بما يفعله من نشرٍ للمقالات، ومُكاتبات للملوك ليرفع همّة صديقه أكثر.

ورغم كوْن الباروني شاعراً إلاّ أنه لم يظهر ذلك في رسالته هذه، فلقد آثر استعمال اللّغة بسيطة على اللّغة المنمّقة، ورغم كونه صحفيّا وأديبا، ويُخاطب صحفيا وأديبا مثله، فلم يكلّف نفسه بالبديع، والتنمّق واختيار أعذب الكلمات، كما أنها مفردات مباشرة لا تحتاج إلا تأمل لِفك لغزها، ولقد تحاشى الإطناب، ففي بداية الرّسالة وبعد الدّيباجة قال: «كلنا في صّحة وهناء والمنة لله»، اِختصر أخباره وأخبار عائلته وأهل عُمان في بضع كلمات فقط، كما استخدم عبارات طويلة، كل عبارة تحتوي على موضوع معيّن.

غلب على النّص الأسلوب الإنشائي، فهو عبارة عن مدح ودعاء، فقد مدح إبراهيم أبي اليقظان بشأن خطبته التي وصفها له بالرّنّانة، ودعا له بالتوفيق في مشواره العلمي فقال: «زادك الله توفيقا»، «دام موفقا»، كما أنّه استعمل ضمير الجمع في كلمة "والأمر لكم" بدل "لك" خير دليل على الاحترام الكبير بينهما، كما أنه لم يستعمل ضمير المتكلم إلا في حال إبداء عواطفه الصادقة تجاه صديقه، أو تجاه الجمعية، حتى أنه كان يفرح لما يفرح به الآخرون، ففي قوله: «وما شنفت به أسماعهم من خطبك الرنانة التي أدخلت علي من السرور...»، نلاحظ أنه سُرّ لأن أبا اليقظان شنّف آذان المستمعين بخطبته.

لجأ الكاتب إلى استعمال التوابع كثيرا في رسالته هذه، خاصّة العطف والصّفة، والغرض منه هو التخصيص كقوله "الفطر المبارك"، والإيضاح "توفيقا وإعانة"، والغرض الأكبر هو المدح مثل قوله "الإجلال والاحترام"،" اللامع الفتان"، « البطل الجليل"،" الغراء المجاهدة الجريئة".

يظهر جليا من خلال الرسالة النّزعة الدينية لسليمان الباروني باشا من خلال توظيفه لعبارات تدلّ على الخلفية الفكرية والمرجعية الدّينية التي ينحدر منها، فقد كان نصّ الرسالة هادِئا ومتواضعا، يدعو ويشجع فيها، فمن العبارات التي تدل على الحقل الدّيني: "ما الله به أعلم فلله أنت"، "زادك الله توفيقا"، "بعيد الفطر المبارك"، "من الاجلال والاحترام"، " تحيتي القلبية"، كما استخدم عبارة "لله أنت" التي استدعاها من قول العرب "لله درّك" التي تستعمل للمدح والتعجّب من عمل ما، وهي من أساليب التّعجّب السّماعيّة عند العرب، لا وزن لها ولا قاعدة، وإنّما تدلّ على التّعجّب دلالة عارضة، لارتباط اسم المخاطب باسم الجلالة، وترِدُ غالبا في مواقف الإعجاب بالشّخص، يقول ابن منظور في لسان العرب: «لله درك أي لله عملك يقال هذا لمن يمدح ويتعجب من عمله»[1] .

سياق النص:

كتبت هذه الرسالة في عمان، والباروني لم يخرج من محنة مرض الملاريا الذي لازمه وعائلته، ولقد رأينا في الرّسالة السّابقة مؤرّخة بـ 20 ربيع الثاني 1350هـ أين كان يعبّر له عن مدى ارتياحه وشفائه من المرض، عاد إليه المرض مرّة أخرى، ورغم ذلك فقد كان يباشر إصلاحاته فيها، كل هذا لم يثنه عن تهنئة إخوانه في البلدان الإسلاميّة الأخرى، والاطلاع على أحوالهم، وكأن تلك الرسائل

1 - لسان العرب – ابن منظور – ج 4 – ص 279.

امتدادٌ لإصلاحاته التي يسعى إليها من خلال دعوته وتطبيقه لقيم أخلاقية وإنسانية حميدة؛ فمن القيم الإنسانية التي تُستشفّ من النّص:

الحرية في الرّأي، من خلال تشجيعه لأبي اليقظان على خطبته الرّنانة، وكان هذا دأبه منذ أن عزم على تطهير البلدان الإسلامية من دنس المحتلين.

أمّا من القيم الأخلاقية: الوحدة، والتواضع، فإبلاغ تحيته القلبية إلى جمعية العلماء المسلمين ولرئيسها دليل على حرصه على وحدة المسلمين في كلمتهم وكفاحهم من أجل هدف واحد، لأنه كان يُساند كلّ حزب أو جمعية أو إنسان من أجل إعلاء كلمة الحق، كل هذه القيم كانت ضمنية يستنتجها المرسل إليه من خلال كلماته التحفيزية.

ومن القيم الأخلاقية أيضا التّضحية:

لم يتوانَ سليمان البراوني باشا في نُصرة القضايا الإسلامية العالمية، فرغم حيرته بمصير عائلته، التي أخذت منه تفكيره وهمّه إليها، إلاّ أنه كان يُكاتب الملوك، ويكتب المقالات في الجرائد المختلفة ويتابع ردُود أفعال قُرّائها، ويشجّع الكتاب، ويردّ على الآراء التي لا يتفق معها، وهو لم يخرج من محنته بعد، لقد كان فعلا مثالا يقتدى به، ومن الذين ينطبق عليهم عبارة " المجاهدون في سبيل الله".

ملاحظة:

كتب هذه الرسالة مجزأة في كتاب سليمان الباروني باشا في صفحتي (94 و 205) ووجدت تكاملا بعد مقارنتها بالرّسالة المخطوطة، مع غياب جزء منها في الكتاب لم يوردها إبراهيم أبو اليقظان لأنه رأى بأنه لا حاجة منها، إلا أنّ الغريب أنّ الرّسالة اختتمت في كتابه بجملة «أرجو أن تسلموا لإدارة " البصائر" الغراء المجاهدة الجريئة الاشتراك عن سنة من أول عدد منها وضموها إلى حسابي ولكم الشكر.

الباروني»[1]

ولم أر ذكرًا لهذه الجملة في الرسالة المخطوطة ولعلّ السبب يكمن في:

1 - سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، ج2، ص205،206.

- ❖ أنّ هذه الجملة بعثها في رسالة مع الحاج عمر العنق، أو امتياز إبراهيم، لأنه كان يوصي بعض الوصايا في رسائل الحاج عمر العنق إلى لإبراهيم أبي اليقظان، فألحقها بهذه الرّسالة في كتابه لأنها أقرب إلى موضوع جمعية العلماء المسلمين المذكور في نفس الرّسالة.
- ❖ أنّ مع الرّسالة مُلحقا أو بعث هذه الجملة مع المقال الذي أخبره في نفس الرّسالة بأنه سيبعث له نسخة من الجريدة التي ستطبع له الرّسالة المفتوحة لملك السّعودية.
- ❖ أنّ هناك خطأ مطبعيّا في نقل النّص، وهو الأرجح؛ لأنّ إبراهيم أبي اليقظان معروف بتدقيقه في مثل هذه الأمور، ولعلّ الذي قام بطبع الكتاب سها عن تلك الجملة، كما أنّ ما أُسقط ليس بالشيء الكبير.

أيّاً كان فإنّ سليمان الباروني باشا أراد أن يشجع جريدة البصائر أيضا على ما تقدمه من جهد في سبيل نشر الوعي الفكري لدى الشعب الجزائري، فأيّد نشاطها من خلال الاشتراك في كل أعدادها دون استثناء، فبعَمَلِه هذا يرسل لهم رسالة مفادها أنني مهتم بكم وأن ما تنشرونه بالغ الأهمية فواصلوا ولا تستسلموا، لأن الباروني يعرف جيدا متاعب إنشاء جريدة وتسييرها، كيف لا وقد كان له جريدتان، إحداهما لم يصدر منها سوى ثلاثة أعددا فقط بسبب المضايقات.

الخاتمة:

بعد عرضٍ لحياة وطبيعة المراسلات بين سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبي اليقظان، وبعد الدّراسة الفنّية لرسائل سليمان الباروني باشا إلى صديقه أبي اليقظان، يمكن أن ألخّص النّتائج التي توصّلتُ إليها فيما يلي:

1) بدَأت العلاقة بين سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبي اليقظان عند اِلتقائهما في معهد القطب امحمد بن يوسف اطفيش سنة 1907، الأوّل لزيارة شيخه، والثاني للتعلّم.

2) بدَأت المراسلات بين سليمان الباروني باشا وإبراهيم أبي اليقظان سنة 1907م، ودامت إلى سنة 1938م.

3) كانت المراسلات بينهما مُتذبذبة، فقد تنقطع لحوالي ثمانية أشهر، وأحيانا تتوالى لرسالتين أو ثلاث في شهر واحد.

4) كانت طبيعة المراسلات بينهما عبارة عن رسائل إخوانية، يخبره فيها عن أحواله الشّخصية وعائلته، ورسائل سياسيّة وإصلاحيّة، يخبره فيها عن مكاتبته لقادة دول العالم، وعن إصلاحاته التي يسْعى ويعمل فيها خاصة في عمان.

5) كان التّواصل بين الكاتبين إمّا عن طريق الحُجّاج، أو عن طريق زيارات بعض الإخوان إليه كالحاج عمر العنق، أو عن طريق مجلة المنهاج لأبي إسحاق إبراهيم اطفيش.

6) عكَسَت رسائل سليمان الباروني باشا حياته الشّخصية والاجتماعية في ذلك العصر، خاصة معاناته من حُمّى الملاريا، و بُعد عائلته عنه، و مضايقات الاحتلال الإيطالي له.

7) اتّسمت رسائل سليمان الباروني باشا بالسّمة الدّينية، وبالقيم الأخلاقية الحميدة الدّالة على المرجعية الدّينة والفكريّة التي ينحدر منها.

8) لم تظهر شاعريّة سليمان الباروني باشا في رسائله إلى إبراهيم أبي اليقظان، بل استخدم لغة بسيطة سهلة تميل إلى التقارير.

9) يَستغلّ سليمان الباروني باشا كلّ الفُرصَ السّانحة له لإرسال رسائله إلى أبي اليقظان، فنجده يتطرّق إلى عدّة مواضيع في رسالة واحدة، مُوجزا كلّ موضوع في جملة طويلة، ينتقل بعدها إلى الموضوع الموالي.

10) كان سليمان الباروني باشا يكتب رسائله في أوراق جاهزة وخاصة بالرّسائل، عليها اسم الوزارة العُمانية والتاريخ الهجري، وأحيَانا في أوراق فارِغة صفراء متفاوتة الأحجام، واستعمل لذلك، إمّا الحبر الأسود، وإمّا الحبر البنفسجي الفاتح، وأحيانا معا، وأحيان أخرى بقلم الرّصاص، كما استخدم الرّسم لتوضيح الفكرة في بعض رسائله.

11) لم يكن يُسوّد سليمان الباروني باشا رسائله بسبب انشغالاته الكثيرة؛ إمّا بالمرض، وإمّا بعائلته، وإمّا بإصلاحاته، لذلك نجده يُشطّب ويستدرك بعض الكلمات والجُمل، وأحيانا أخرى يقسّم الكلمة إلى نصفين، نصف في سطر، ونصفها الآخر في السّطر الموالي بسبب ضيق الورقة.

12) يستخدم سليمان الباروني باشا كلمة "خصوصي" ويسطّر عليها، في الأخبار التي تخصّه هو.

13) يُعتبر إبراهيم أبو اليقظان، أوّل شخص في العصر الحديث يُخْرِج رسائل صديقِه لَه إلى العَالم ليطّلع عليها، من خلال كتابه "سليمان الباروني باشا في أطوار حياته".

14) لا بدّ من مُقارنة الرّسائل الموجودة في كتاب "سليمان الباروني باشا في أطوار حياته"، مع الرّسائل المخطوطة، للتأكد من كماليتها قبل تحليلها.

توصيات البحث:

- أهمّ توصية يمكن أن نخرج بها من خلال البحث، هي البحث عن رسائل إبراهيم أبي اليقظان إلى سليمان الباروني باشا، لإثراء السّاحة الأدبيّة الجزائريّة بها، والتي من المرجّح أن تكون في ليبيا أَمّنهَا الله، أو عُمان.
- دراسة رسائل الحاج عمر العنق إلى سليمان الباروني باشا، لأنّ هناك مراسلات معتبرة بينهما، والبحث أيضا عن أجوبتها في ليبيا، أو عُمان.
- توسيع موضوع فنّ التّرسّل في الدروس الجامعيّة، وإعطائه فترة أكبر لدِراسته، خاصة في مجال تحليل الرّسائل.

ملحق الرسائل المخطوطة والصور:

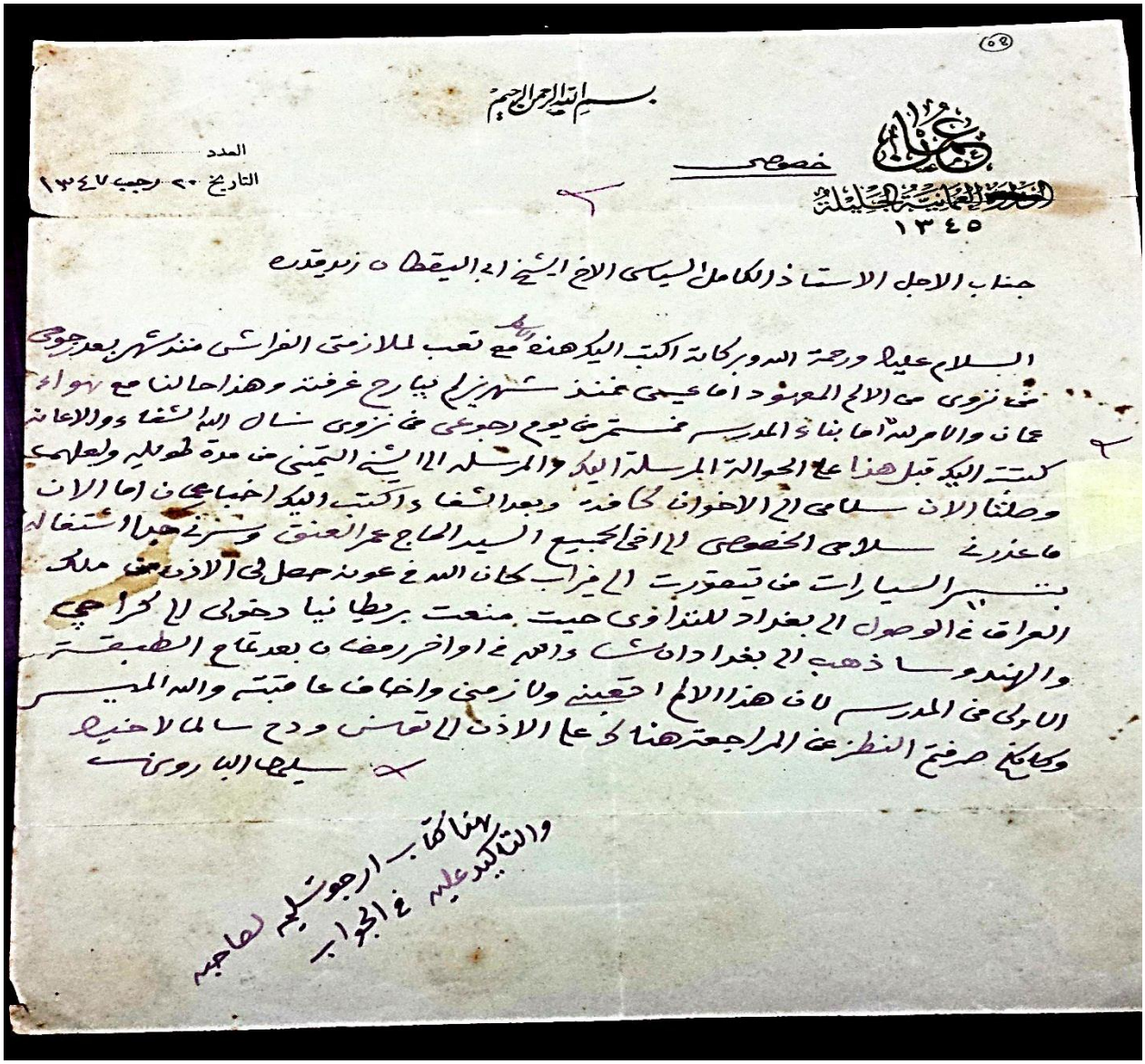

بسم الله الرحمن الرحيم

خصوصي

العدد ..... التاريخ ٢٠ رجب ١٣٤٧

١٣٤٥

جناب الاجل الاستاذ الكامل السيد الحاج الشيخ ابو اليقظان زيد مجده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اكتب اليكم هذه مع تعب ملازمتي الفراش منذ شهر بعد رجوعي من نزوى من الاجل المعهود اما عيسى منذ شهرين لم يبارح غرفته وهذا حالنا مع سواء عافان والامر لله اما بناء المدرسة فمستمر في يومه وجوعي من نزوى سأل الله الشفاء والاعانة كتبت اليكم قبل هذا على الحوالة المرسلة اليكم والمرسلة الى الشيخ اليمني من مدة طويلة ولعلها وصلتكم الان سلامي الى الاخوان كافة وبعد الشفاء واكتب اليكم اخباركم اما الان فاعذرني سلامي الخصوصي الى اخي الجميع السيد الحاج عمر العنقي وسرني هذا اشتغاله بتسيير السيارات من تيمورت الى مزاب كان الله في عونه حصل لي الاذن من ملك العراق في الوصول الى بغداد للتداوي حيث منعت بريطانيا دخولي الى كراچي والهند وسأذهب الى بغداد ان شاء الله في اواخر رمضان بعد علاج الطبقة الاولى في المدرسة لان هذا الامر اتعبني ولازمني واخاف عاقبته والله المسير وكما كنت صرفت النظر عن المراجعة هنا لكم على الاذن الى تعاش ودح سالم لاخيه سليمان باروني

والتاكيد عليه في الجواب

والمناكحة ارجو تسليم لصاحبه

صورة لرسالة مخطوطة مؤرّخة بـ: 20 رجب 1347هـ

نلاحظ كلمة خصوصي في الأعلى، واستدراكه لكلمة "الأسطر"، والجملة بعد التوقيع.

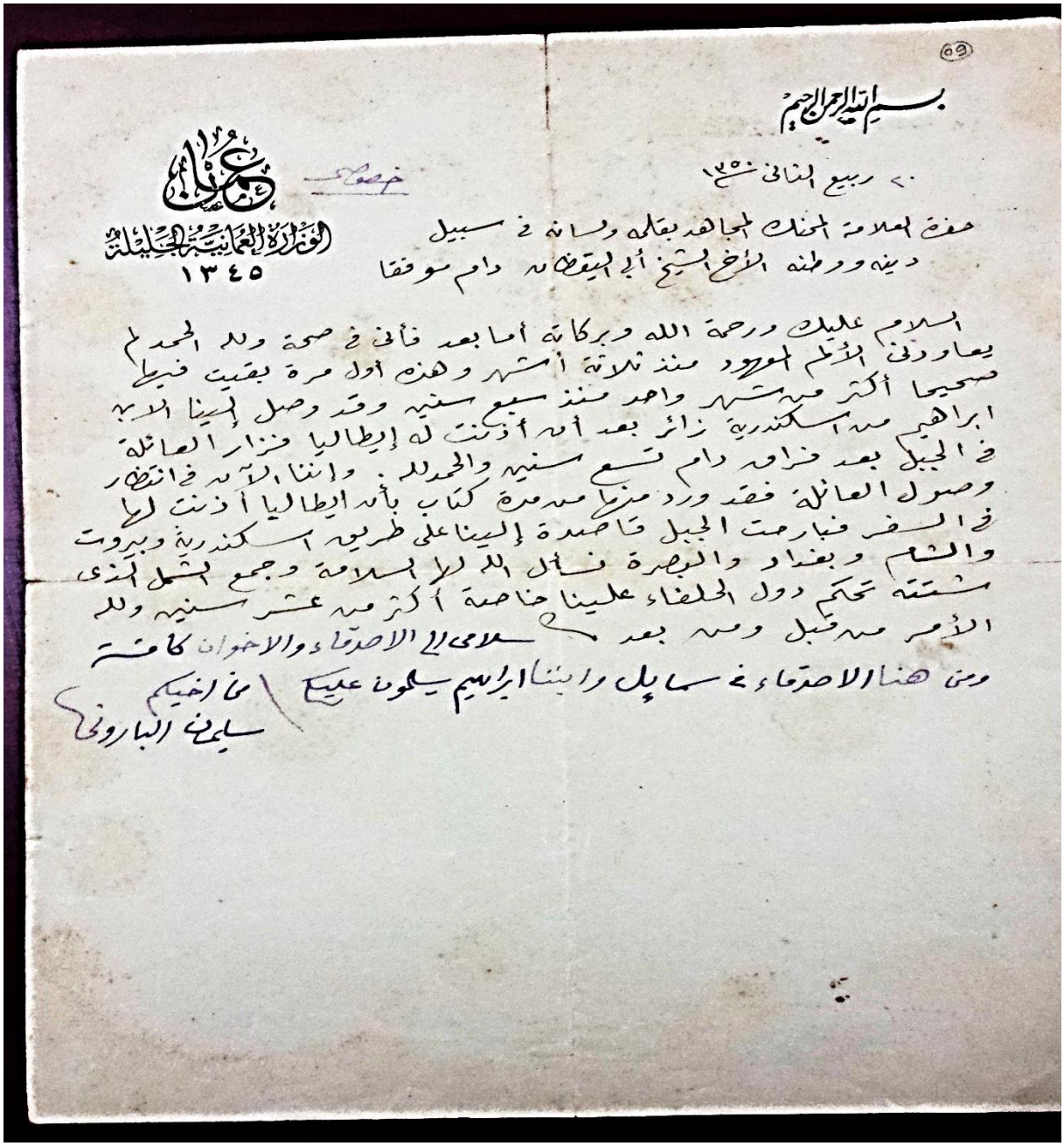

بسم الله الرحمن الرحيم

٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٠

خصوصي

عمان

الوزارة العمانية الجليلة

١٣٤٥

صفة العلامة المخلص المجاهد بقلمه ولسانه في سبيل دينه ووطنه الأخ الشيخ أبي اليقظان دام موفقا

السلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فأني في صحة ولله الحمد لم يعاودني المرض المعروف منذ ثلاثة أشهر وهذه أول مرة بقيت فيها صحيحا أكثر من شهر واحد منذ سبع سنين وقد وصل إلينا الأخ ابراهيم من اسكندرية زائرا بعد أن أذنت له إيطاليا فزار العائلة في الجبل بعد فراق دام تسع سنين والحمد لله. وإننا الآن في انتظار وصول العائلة فقد ورد من ابراهيم كتاب بأن ايطاليا أذنت لها في السفر فبارحت الجبل قاصدة إلينا على طريق اسكندرية وبيروت والشام وبغداد والبصرة فأسأل الله لها السلامة وجمع شمل الذي شتته تحكم دول الحلفاء علينا خاصة أكثر من عشر سنين ولله الأمر من قبل ومن بعد. سلامي إلى الأصدقاء والإخوان كافة ومن هنا الأصدقاء نسائل وابننا ابراهيم يسلمون عليك

من أخيكم

سليمان الباروني

صورة لرسالة مخطوطة مؤرّخة بـ: 20 ربيع الثاني 1350هـ

نلاحظ كلمة خصوصي في الأعلى، واستعماله لحبرين في الكتابي.

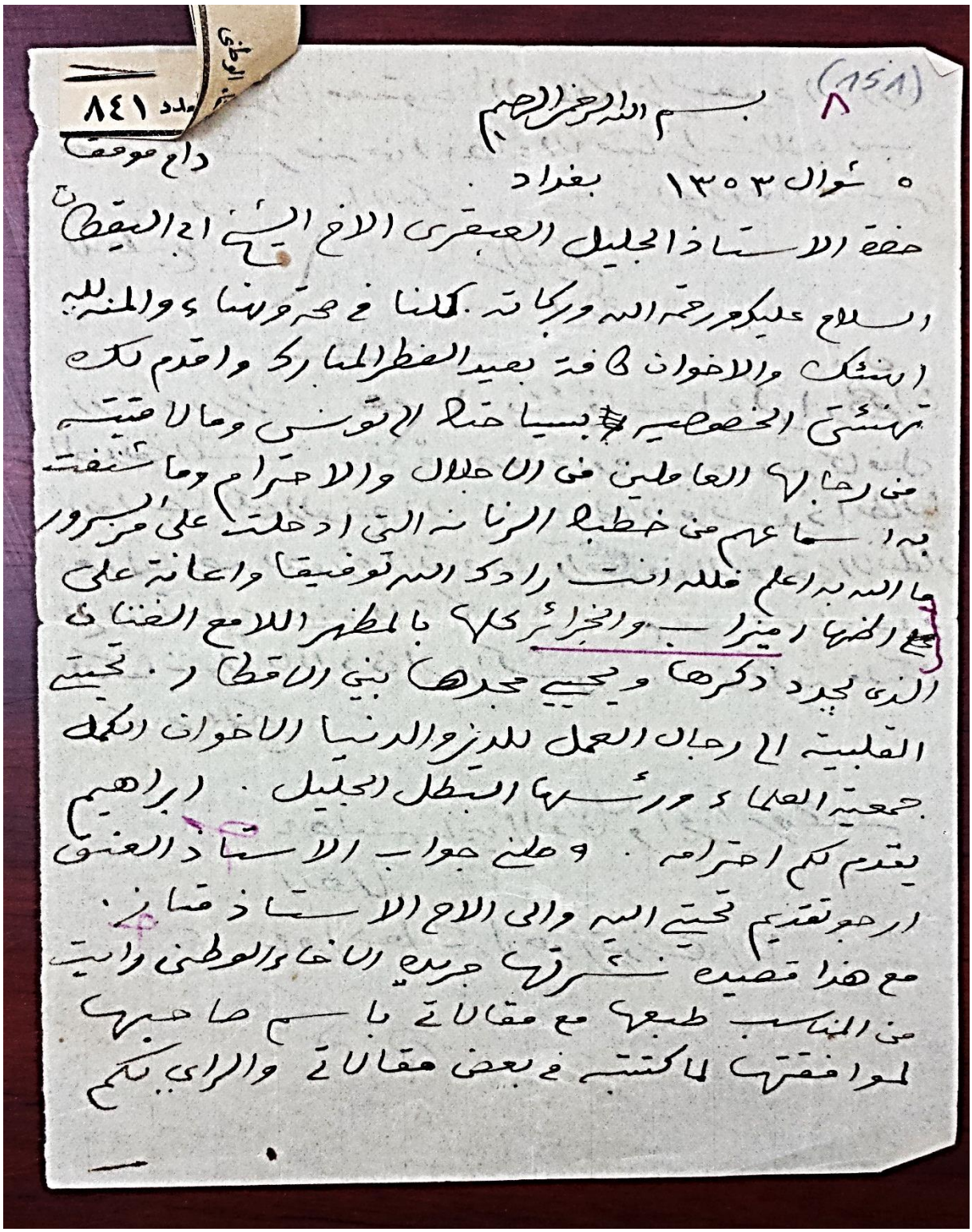

بسم الله الرحمن الرحيم (151) ٨

٥ شوال ١٣٥٣ بغداد

حضرة الاستاذ الجليل العبقري الاخ الشيخ احمد البقطري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. كلنا في صحة وهناء والمنة لله

الشكر والاخوان كافة بعيد النظر المبارك واقدم لكم

تهنئتي الخصوصية بسياحتكم الاخيرة وما اصبتم

من رجال العاملين في الاجلال والاحترام وما شنفت

به اسماعهم من خطبكم الرنانة التي ادخلت على مزيد السرور

والله به اعلم فلله انت اراك الله توفيقا واعانة على

مجد الوطن العزيز والجزائر كلها بالمظهر اللامع الضنك

الذي يجدد ذكرها ويحيي مجدها بني الاقطار. تحيتي

القلبية الى رجال العمل للدين والدنيا الاخوان الكمل

جمعية العلماء ورئيسها البطل الجليل. ابراهيم

يقدم لكم احترامه. وعلى جواب الاستاذ العنق

ارجو تقديم تحيتي اليه والى الاخ الاستاذ فناز.

مع هذا قصيدة نشرتها جريدة الاخاء الوطني وابيت

من المناسب طبعها مع مقالاتي باسم صاحبها

لموافقتها لما كتبته في بعض مقالاتي والرأي لكم

صورة لرسالة مخطوطة مؤرّخة بـ: 05 شوّال 1353هـ

يمكن أن نلاحظ في هذه الرّسالة، كيفية بنائها.

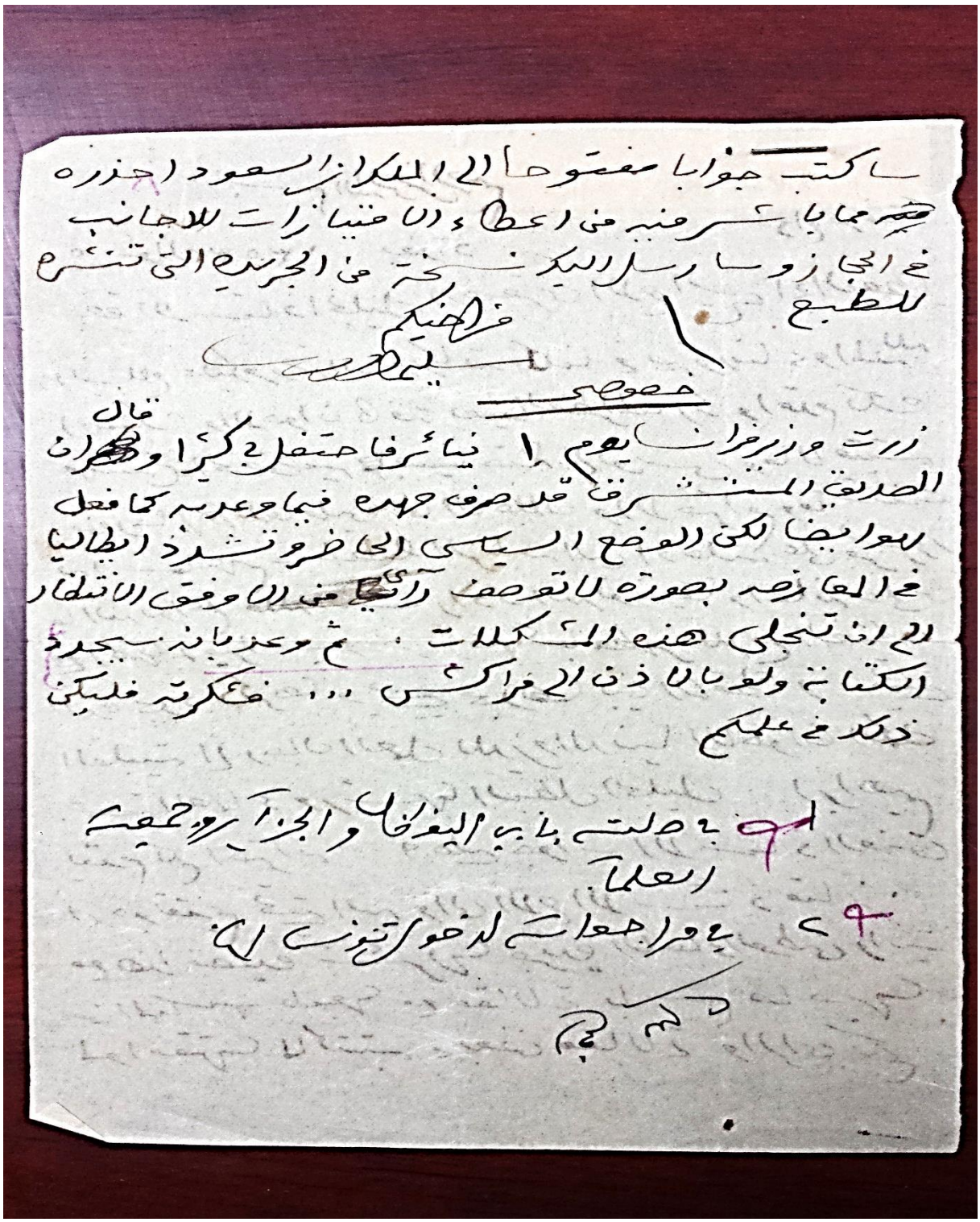

ظهر الرّسالة المخطوطة السّابقة والمؤرّخة بـ: 05 شوّال 1353هـ

نلاحظ كلمة خصوصي التي كتبها بعد التّوقيع، كما نلاحظ أيضا التّشطيبات الموجودة على الرّسالة.

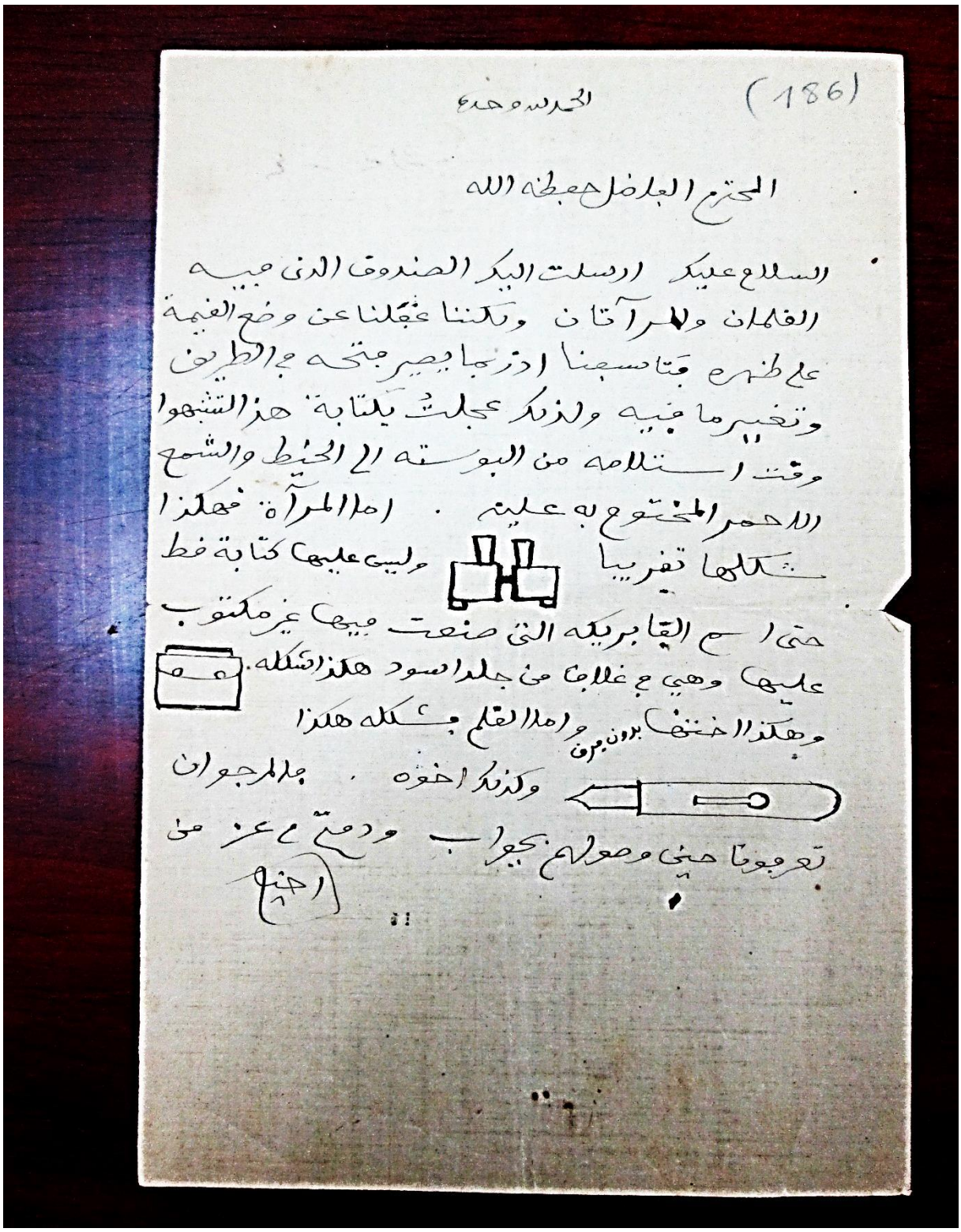

(186) الحمد لله وحده

المحترم الفاضل حفظه الله

السلام عليك ارسلت اليك الصندوق الذي فيه الفلمان والمرآتان ولكننا غفلنا عن وضع القيمة على ظهره فتاسفنا اذ ربما يضيع منه في الطريق وتغير ما فيه ولذلك عجلت بكتابة هذا التنبيه وقت استلامه من البوسته الى الحيط والشمع الاحمر المختوم به عليه . اما المرآة فهكذا شكلها تقريبا وليس عليها كتابة قط حتى اسم القابريكه التي صنعت فيها غير مكتوب عليها وهي في غلاف من جلد اسود هكذا شكله وهكذا اختفى بدون معرفة اما القلم فشكله هكذا وكذلك اخوه . فالمرجو ان تعرجونا حتى وصول الجواب ودمتم في عز من الحق

صورة لرسالة مخطوطة غير مؤرّخة

نلاحظ استعماله للرّسومات للتوضيح.

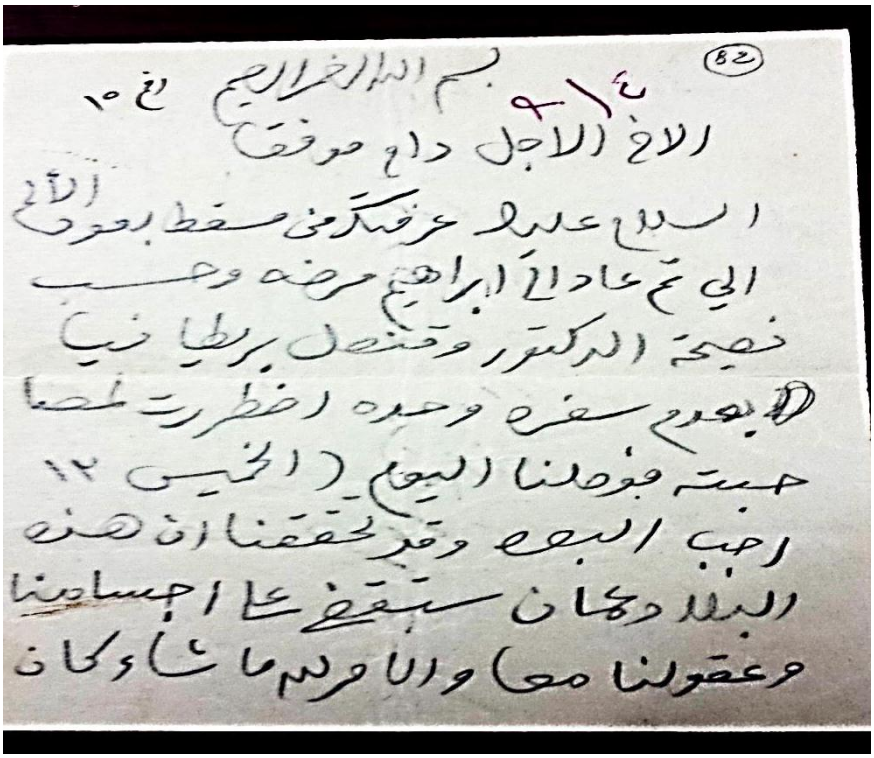
بسم الله الرحمن الرحيم في ١٥
الاخ الاجل داح موفق
السلام عليك عرفتكم من سقط بعوف الأخ
الي تم عاد الى ابراهيم مرضه وحسب
نصيحة الدكتور وتنصل بريطانيا
بعدم سفره وحده اضطرت لمصا
حبته فوصلنا البيوم (الخميس ١٢
راجب البحر وقد تحققنا ان هذه
البلاد ممكان ستيقظ عالا جسادنا
وعقولنا معا والامر لله ما شاء كان

صورة لرسالة مخطوطة مؤرّخة بـ 13 رجب 1352هـ.

نلاحظ الحجم الصّغير للورقة، والكتابة بقلم الرّصاص، كما نلاحظ أيضا طريقة كتابته لكلمة" لمصاحبته" في السّطر الرّابع بعد الدّيباجة.

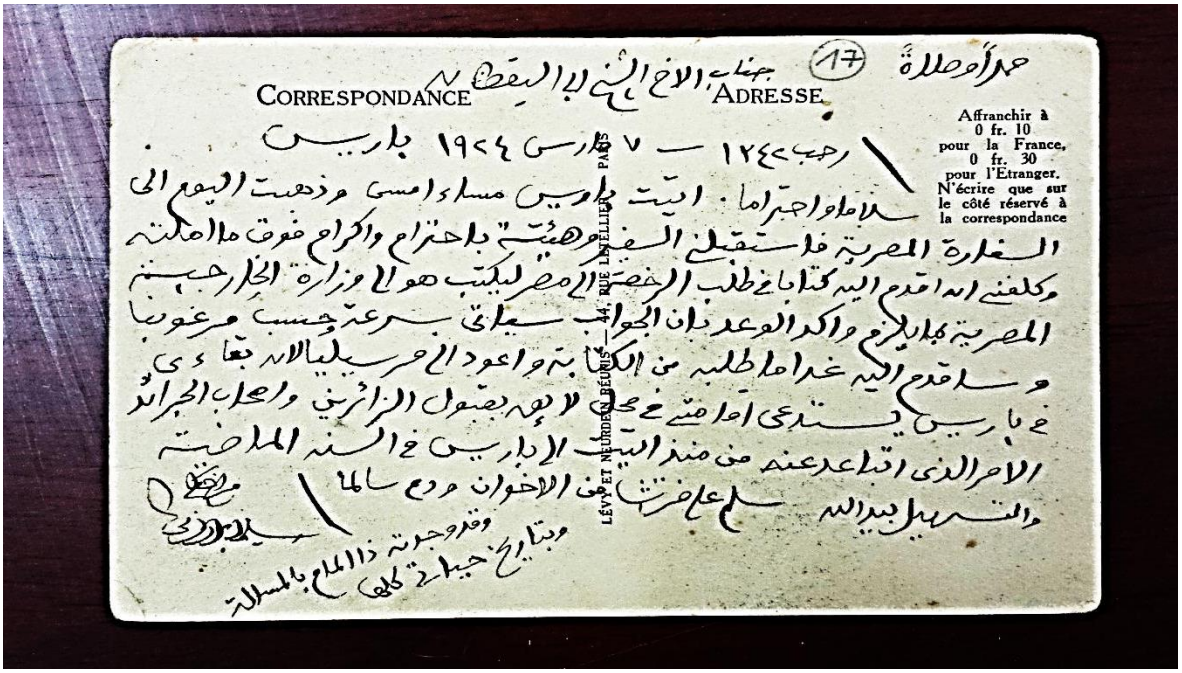

صورة لرسالة مخطوطة مؤرّخة بـ: رجب 1342هـ/ 7 مارس 1924م

نلاحظ أنّها كتبت على ظهر تذكرة بريدية من باريس.

سليمان باشا الباروني بلباسه الرسمي وهو ولي وكوماندان طرابلس الغرب

الشيخ إبراهيم بن عيسى حمدي (أبو اليقظان)

رائد الصحافة الوطنية في الجزائر

فهرس المصادر والمراجع

المصادر:

1- الأعلام، خير الدّين الزّركلي، ط5، دار العلم للملايين، 1980م.

2- ديوان أبي اليقظان، جمعيّة التراث، ط2، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعيّة –الجزائر، 1989م.

3- رسائل مخطوطة من جمعيّة التراث– القرارة– غرداية– الجزائر.

4- لسان العرب، ابن منظور ، المحققون: عبد الله الكبير وهاشم الشّاذلي ومحمد حسب الله وسيد رمضان أحمد، دار المعارف– القاهرة، 1984م.

5- معجم أعلام الإباضيّة، جمعيّة التراث، ط 1، المطبعة العربيّة غرداية–الجزائر، 1999م.

المراجع:

6- الشّيخ إبراهيم اطفيّش في جهاده الإسلامي، محمد صالح ناصر، ط5 ، كولوريوم، 2013م.

7- الأدب الجاهلي، غازي طليمات وعرفان الأشقر، ط1، دمشق، 1992م.

8- تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ط11، دار المعارف القاهرة، 1976م.

9- ديوان أبي القاسم الشّابي ورسائله، مجيد طراد، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت،1994م.

10- رسائل الرّافعي، محمد أبو ريّة، الدّار العمريّة، 1934م.

11- سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، أبو اليقظان الحاج إبراهيم، المطبعة العربية–الجزائر، 1376هـ/1956م.

12- مشايخي كما عرفتهم، محمد صالح الناصر، ط2، دار ناصر للنّشر والتوزيع الجزائر، 2013م.

13- نقد النّثر، قُدامة بن جعفر، تحقيق طه حسين وعبد الحميد العبادي، المطبعة الأميرية–القاهرة، 1941م.

14- أبو اليقظان في الدّوريات العربيّة، محمد ناصر بوحجام، المطبعة العربية–غرداية 1985.

15- أبو اليقظان وجهاد الكلمة، محمد ناصر، أحمد زبانة–الجزائر 1980.

مذكّرات وملتقيات:

16- فن الرّسائل في العصر المملوكي دراسة تحليلية، رشا فخري النحال، مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير في الأدب والنقد، الجامعة الإسلامية-غزة، 2014م.

17- سليمان باشا الباروني وحضوره في الثقافة العمانية، م1، جامعة السلطان قابوس 2013م

لقاءات:

18- لقاء مع الدكتور محمد صالح ناصر في بيته بالأبيار- الجزاء العاصمة، يوم 2016/04/09م.

فهرس المحتويات:

العنوان	الصفحة
مقدِّمة	أ
تمهيد: فن الترسُّل أهميته وتطوّره	10

المبحث الأول: سليمان الباروني باشا وأبو اليقظان (حياتهما ومراسلاتهما مع أعلام عصرهما)	14
المطلب الأول: سليمان الباروني باشا (حياته ومراسلاته مع أعلام عصره):	14
1: حياته:	14
2: مراسلاته مع أعلام عصره:	15
المطلب الثاني: أبو اليقظان (حياته ومراسلاته مع أعلام عصره):	17
1: حياته:	17
2: مراسلاته مع أعلام عصره:	18

المبحث الثاني: مراسلات سليمان الباروني باشا مع إبراهيم أبي اليقظان دراسة موضوعية	21
المطلب الأول: أصل العلاقة بين الكاتبين ومقوماتها:	21
أوّلا: طور التكوين (الدراسة على يد القطب اطفيش):	21
ثانيا: طور الحركية والعطاء (العمل السياسي، العمل الصحفي):	23
المطلب الثاني: تاريخ المراسلات بين أبي اليقظان والباروني وطبيعتها:	25
1: أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، نفيه إلى مصر وأثره في التواصل بين الكاتبين:	25
2: الحاج عمر العنق، وأثره في التواصل بين الكاتبين:	26

العنوان	الصفحة
3: تاريخ المراسلات بين الكاتبين:	28
4: طبيعة المراسلات بين الكاتبين:	30
5: جدول لرسائل سليمان الباروني باشا الموجودة في كتاب سليمان الباروني باشا في أطوار حياته:	36
6: منحنى بياني يبيّن عدد المراسلات بينهما في كلّ سنة:	42
7: شكل الرّسائل التي كانت بينهما:	43

المبحث الثالث: رسائل سليمان الباروني باشا إلى أبي اليقظان دراسة فنية	44
المطلب الأول: دراسة الرسالة المؤرخة بـ 20 رجب 1347هـ فنّيًّا:	44
المطلب الثاني: دراسة الرّسالة المؤرخة بـ 20 ربيع الثاني 1350هـ فنّيا:	50
المطلب الثالث: دراسة الرّسالة المؤرخة بـ 05 شوّال 1353هـ فنّيا:	54

الخاتمة:	60

ملحق الرسائل المخطوطة والصور:	62
فهرس المصادر والمراجع:	71
فهرس المحتويات:	73